جامعة ابن خلدون– تيارت

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم العلوم الانسانية

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر الطور الثاني ل.م.د

في تاريخ الحضارات القديمة

اهمية المنتجات الزراعية و الحيوانية المغاربية في الفترة الرومانية و البزنطية

من إعداد الطلبة :

- بن أحمد عبد الكريم
- بناني عماد
- بن عربية مجدد

إشراف الأستاذ:

كاكي محمد

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب:	الرتبة	الصفة
العياشي بدر الدين	استاذ محاضر أ	رئيسيا
كاكي محمد	أستاذ	مشرفا ومقررا
بولخراص حمادوش	أستاذ محاضر أ	مناقشا

السنة الجامعية 2022/2021

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

نتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم في إنجاز هذه

المذكرة بطريقة أو بأخرى

كما نشكر الأساتذة المحترمين المناقشين

الذين تحملوا عبئ قراءتها و إثرائها

و السلام عليكم ورحم الله تعالى وبركاته

إهداء

أهدي جهدي إلى من كان معي منذ نعومة أظافري و إلى من كان سببا في وجودي

إلى أعز شخصين في حياتي

إليك يا من علمتني الصمود و التي بدعائها كانت سببا في نجاحي و توفيقي

"أمي الغالية "

إليك يا رمز العطاء و يا من كان دوما سندا لي في الحياة ولم يبخل علي بشيء

" أبي العزيز رحمك الله "

إلى من قدم لي يد العون و كان واقفا معي في جميع الظروف التي واجهتني

إلى كل الأساتذة الذين أشرفوا على تكويني

إلى كل أصدقائي

بناني عماد

إهداء

إلى شمعة دربي، إلى قطعة من الجنة، إلى نبض قلبي، إلى أول مدرسة علمتني

إلى من هي طريق الجنة، إلى أمي الحبيبة

إلى قوتي و عزتي و بؤرة النور الذي عبرت بي نحو الأمل و الأمان

و اتسع قلبه ليحتوي حلمي حين ضاقت الدنيا فروض الصعاب من أجلي

إلى والدي الغالي

الى كل من ساعدني في انجاز هذا العمل

بن أحمد صحراوي

إهداء

ما أجمل أن يجود المرء بأغلى ما لديه

وأجمل أن يهدي الغالي للأغلى

هي ذي ثمرة جهدي أجنيها اليوم هي هدية

أهديها إلى:

الى والدي العزيز رحمه الله و أمي حفظها الله وأطال عمرها

إلى كل الأصدقاء و الزملاء

إلى كل الأساتذة المحترمين

بن عربية مجدد

فهرس الموضوعات

شكر وتقدير .....
إهداء.....
مقدمة : ..... أ

الفصل الاول : لمحة عن بلاد المغرب

موقع بلاد المغرب و أهميته 5
تضاريس بلاد المغرب : 8
تضاريس الشمال : 8
2- الإستئناس و الرعي:..... 9
ب- تضاريس الصحراء : 14
معطيات الجغرافيا قديما: 15
أ. الأقاليم الطبيعية 15
التركيبة البشرية 16
أ- السكان الأصليون :..... 16
ب - السكان الوافدون : 18

الفصل الثاني : نشأة الزراعة في بلاد المغرب

الملامح الباكرة للزراعة :..... 20
تحولات العصر الحجري الحديث:..... 20
المزارعين المستقرين:..... 23
أهم الحيوان المستأنسة : 25
أهم المحاصيل..... 33

الفصل الثالث : الزراعة في بلاد المغرب خلال وبعد الفترة الرومانية

الزراعة خلال الفترة الرومانية :..... 40

نشأة الزراعة في بلاد المغرب خلال فترة الرومان :..... 40
أهم المنتجات الزراعية و الضرائب الملزمة عليها:..... 41
مسح الأراضي في بلاد المغرب :..... 43
الكنترة :..... 43
تطور الكنترة الأفريقية : 44
نظام الري الزراعي:..... 45
استصلاح الأراضي من طرف الرومان..... 45
منشآت الري: 46
منشآت التخزين:..... 47
الزراعة في بلاد المغرب بعد الفترة الرومانية :..... 48
الانتاج الزراعي و الحيواني في بلاد المغرب بعد الفترة الرومانية : 49
الإنتاج الزراعي: 51
الإنتاج النبائي: 52
المنتجات الحيوانية : 58
خاتمة..... 62
قائمة المصادر و المراجع :..... 64
ملخص الدراسة :..... 69

قائمة المختصرات

تر	ترجمة
تح	تحليل
م	مجلد
ط	طبعة
د س	دون سنة
د ط	دون طبعة
ص	صفحة

مقدمة

مقدمة :

عندما نريد أن نتحدث على التاريخ الاقتصادي للشمال الأفريقي القديم خلال الفترة الرومانية وقبلها ، يجب أن نتطرق فيه الى الجوانب الأساسية في اقتصاد هذه المنطقة وهو الجانب الزراعي، وخاصة التوسع الذي عرفته الزراعة خلال هذه الفترة، وهدفنا من خلال محاولتنا هذه هو معالجة هذا الموضوع من خلال تتبع الظروف التي عرفها النشاط الزراعي واستغلال الأرض في منطقة ظلت الزراعة بها هي الركن الأساس في اقتصادها عبر التاريخ، وكذا دراسة العوامل التي صنعت ذلك الازدهار الاقتصادي الذي تتحدث عنه المصادر الأدبية وتثبته المعالم والبقايا الأثرية عبر فترة طويلة امتدت على ما يزيد عن خمسة قرون لقد كان الثراء الاقتصادي المبني أساسا على الثروة الفلاحية أهم ما ميز منطقة الشمال الأفريقي منذ قرون طويلة، حيث عرفت هذه المنطقة ظهور الزراعة منذ فجر التاريخ ظلت تتطور تدريجيا لتصل أوج ازدهارها وتوسعها خلال الفترة الرومانية وذلك لتوفر عوامل هذا الازدهار، فإلى جانب التربة الخصبة والمناخ الملائم هناك التقاليد الزراعية الراسخة، وكذا إقامة منظومة فلاحية بناء على تشريعات قانونية تحدد ملكية الأرض ونظام استغلالها وخاصة نظام المستثمرات الفلاحية و أهم المنتجات الزراعية و الثروة الحيوانية ، فجاء عنوان عملنا ب : أهمية المنتجات الزراعية و الحيوانية المغاربية في الفترة الرومانية

يدخل اختيارنا للموضوع ضمن إطار اهتمامنا الشخصي بالتاريخ الاقتصادي لشمال أفريقيا ، وهي في الحقيقة مجالات لم يعتن الباحثون بدراستها مقارنة بالتاريخ السياسي وتاريخ المدن والحواضر، بالإضافة إلى رغبتنا في المساهمة ولو بالقليل في تعريف الغير بحضارتنا القديمة ، وكذا لرغبتنا في إبراز دور الشعوب الأمازيغية وإسهاماتها الحضارية التي غيبتها المصادر الكلاسيكية وطمستها الدراسات الحديثة، إن موضوع

المنتجات الزراعية و الحيوانية المغاربية في الفترة الرومانية في حد ذاته يعد ظاهرة جديرة بالدراسة ولم تعطى حقها ، خصوصا وانه موضوع يثير الفضول بعد العثور على هياكل خاصة بالزراعة في مناطق "انقرضت" منها الزراعة حاليا

ويعود سبب اختيارنا لهذا الموضع لجملة من الأسباب أهمها:

-رغبتنا الخاصة بدراسة موضوع :الزراعة في بلاد المغرب خلال الفترة الرومانية نظرا لأهميته وغناه بالمعلومات الشيقة

وخلال دراستنا لموضوعنا برزت لنا جملة من الأسئلة أهمها :

فيما تكمن أهمية المنتجات الزراعية و الحيوانية المغاربية ؟

والذي بنفسه انقسم الى اسئلة فرعية :

كيف نشأت الزراعة في بلاد المغرب ؟

ماهي أهم المنتجات الزراعية و الحيوانية في بلاد المغرب ؟

كيف نشأت الزراعة في بلاد المغرب خلال الفترة الرومانية ؟

ماهي أهم المنتجات الزراعية في بلاد المغرب خلال و بعد الفترة الرومانية ؟

كل هذه الأسئلة وغيرها قمنا بالإجابة عليها من خلال دراستنا أهمية المنتجات الزراعية و الحيوانية المغاربية ، واعتمدنا في بناء هذا العمل على المنهج التحليلي ، حيث قسمنا عملنا إلى ثلاثة فصول، خصصنا الفصل الأول لدراسة بلاد المغرب بصفة عامة من تضاريس و مناخ وغيرها والذي كان بمثابة المدخل العام للموضوع.

أما الفصل الثاني والمدرج تحت عنوان:اكتشاف الزراعة في بلاد المغرب ، و الذي تناول نشأة الزراعة وكيفية ظهورها ومختلف المحاصيل الزراعية .

أما الفصل الثالث جاء تحت عنوان: الزراعة في بلاد المغرب خلال وبعد الفترة الرومانية تناول مختلف التطورات و التغيرات التي مرت بها ومختلف الأدوات التي

أستخدمت و الأنظمة التي اعتمدوها مع ذكر أهم المحاصيل و المنتجات .

وختمنا المذكرة بخلاصة حاولنا فيها الوقوف على أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال معالجة الموضوع.

أما عن المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها نذكر من أهمها :

ابن الرقيق القيرواني ، تاريخ إفريقية و المغرب و الذي ساعدنا في انجاز الفصل الثاني من المذكرة

محمد الصغير غانم ، مواقع و حضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم والذي توفر على المعلومات اللازمة لنجاز الفصل الاول من تاريخ بلاد المغرب وجل ما يتعلق بها

شنيتي محمد البشير ، نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال والذي توفر على المعلومات المتعلقة بالفصل الثالث من نشاة الزراعة في بلاد المغرب خلال الفترة الرومانية وأهم المنتجات وغيرها

ورغم ما بذلناه من مجهودات إلا أننا نخشى أن لا نعطي عملنا حقه من البحث ، أو أن نكون قد تركنا ثغرات لم نستطع سدها وذلك لجملة من العوامل التي شكلت لنا عوائق لعل من أبرزها أن هذا الموضوع لم يعطى حقه من اهتمام الباحثين، إذ وجدنا صعوبات في إيجاد المصادر والمراجع المتخصصة، حيث ان أغلبها تتناول تاريخ المنطقة بصفة عامة والتحدث عن موضوعنا بصفة سطحية

الفصل الاول :

لمحة عن بلاد المغرب

موقع بلاد المغرب و أهميته

تحتل بلاد المغرب شمال غربي إفريقيا، محصورة بين غربي نهر النيل شرقا والبحر المتوسط شمالا و المحيط الأطلسي غربا والصحراء الكبرى جنوبا، وهي المنطقة التي تقابل السواحل الجنوبية لدول جنوب غرب أوروبا إبتداء من البرتغال فإسبانيا على مضيق جبل طارق حتى بلاد اليونان في الركن الشمالي الشرقي للبحر المتوسط وتحديدا فإن خط الطول 10 غرب غرينتش والمار غرب مدينة لشبونة ينطبق على الساحل الأطلسي لبلاد المغرب، بينما خط25" شرق غرينتش و المار بمنتصف جزيرة كريت ينطبق على الحدود الشرقية لليبيا الحالية بينما تنحصر المنطقة بين دائرتي عرض 18 و38° شمالا .[1]

وتدخل الصحراء على شساعتها، بما فيها الطاسيلي و الهقار ضمن بلاد المغرب أين تشكلت محطات الإنتشار البشري الذي زحف شمالا لتعمير بلاد المغرب وذلك أثناء العصر الحجري الحديث أو النيوليتي (Neolithique) والذي عرف فيه الإنسان أوج تقدمه في عصور ما قبل التاريخ انطلاقا من الصحراء التي بدأت تعرف الجفاف تدريجيا منذ الألفية الثالثة قبل الميلاد و بدا مع ذلك نزوح المجموعات البشرية نحو الشمال فرارا من الجدب واستقر بعضها في مناطق محدودة من واحات الصحراء التي وإن كانت تتوغل جنوبا حتى نهر النيجر، فإنها تلامس البحر المتوسط في الشمال، خاصة عند الساحل الليبي حول خليج سرت لقد احتلت بلاد المغرب بهذه الإحداثيات

[1] محمد الهادي حارش ،التاريخ المغاربي القديم السياسي و الحضاري منذ فجر التزيخ لي الفتح الإسلامي المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر 1995 ص ,14

موقعا استراتجيا جعلها تنتمي للحوض الغربي للمتوسط بالإضافة إلى انفتاحها على الحوض الشرقي من خلال سواحل ليبيا وتونس الشرقية[1].

وبهذا الموقع تكون شديدة القرب من القارة الأوروبية إذ لا يفصلها عن شبه جزيرة إيبيريا سوى مضيق جبل طارق (أعمدة هرقل (1) ب 13 كلم ، و عن إيطاليا عبر مضيق صقلية ب 140 كلم كما لا تفصل سواحل برقة الليبية، جزيرة كريت اليونانية سوى مسافة 300 كلم

من جهة أخرى تنفتح بلاد المغرب على المحيط الأطلسي الذي سهل تواصلها مع غرب و شمال أوروبا وكذلك مع سواحل إفريقيا الغربية .

وإذا كانت الصحراء على شساعتها تبدو فاصلة لبلاد المغرب عن بقية القارة الإفريقية، إلا أنها شكلت قديما همزة وصل وطيدة خاصة أن ظروف المناخ و الغطاء النباتي في القديم كانت مغايرة لظروف الصحراء على أيامنا، إذ أن وجود المجاري المائية وإن كانت جفة فهي دليل على أنها كانت تنال كمية أكبر من الأمطار مما هي عليه الآن، لأن درجة الرطوبة كانت أكثر ارتفاعا 42 ، وهذا ما جعل التفاعل الحضاري يتم ولقرون عديدة، مع جيران بلاد المغرب من إثيوبيين جنوبا ومصر بين شرقا وذلك قبل استفحال فترة الجفاف التي قطعت سبل التواصل بين شعوب المنطقة أما بالنسبة إلى الإتصالات البحرية خلافا للمنطقة الشرقية للبحر المتوسط التي دخلت عصور التاريخ مبكرا، فإن المنطقة الغربية التي تنتمي إليها بلاد المغرب قد تأخرت حوالي ألفي سنة [2].

[1] محمد الهادي حارش ،المرجع السابق ، ص ,14

[2] محمد شفيق، ثلاثة وثلاثون قرن من تاريخ الأمازيغيين، دار مكتبة الفكر ، طرابلس،1988 ص، 25

وهكذا فقد كان انغلاق بلاد المغرب على المجتمعات الوافدة من البحر قد أخر بداية الفترة التاريخية فيها بالنسبة إلى مثيلاتها في الشرق الأدنى وذلك حتى حلول البحارة الفينيقيين في نهاية الألف الثانية قبل الميلاد [1]

غير أن أهمية بلاد المغرب المتمثلة في توسطها للعالم القديم قد جلبت الوافدين إليها من مستوطنين وفاتحين و غزاة على مر العصور خاصة بعد تطور النقل البحري .

لقد شكلت سواحل بلاد المغرب، منذ نهاية الألف الثانية قبل الميلاد محطات للتجار الفينيقيين للتبادل والإستراحة في طريقهم إلى شبه جزيرة إيبيريا وما وراء أعمدة هرقل لاستجلاب المعادن الثمينة .

وحين ضاقت بلاد الإغريق بأهلها كان ساحل بلاد المغرب القديم ممثل جنوب إيطاليا وجزيرة صقلية، متنفسا للمهاجرين من جزر اليونان الفقيرة فأسسوا مستوطنات استعمروها لقرون عديدة تمثلت في مجموعة من الموانئ أسموها المدن الخمس Pentapolis وأشهرها قورينا (Cyrenae)بإقليم برقة [2]

وحين اشتد ساعد روما وقويت شوكتها لم تقنع بإخراج القرطاجيين من صقلية فحسب، بل سعت إلى تدمير قرطاجة، ليس لتنفيذ وصية كانون "Caton" بل الاحتلال البلاد كلها والانتفاع بخيراتها الزراعية . وقد ورثهم الوندال و البيزنطيون في الاستيلاء على بلاد المغرب لتتواصل الهيمنة ضمن ما غرف بالاستعمار الثلاثي .

[1] هشام صادي، أضواء جديدة على تاريخ المغرب، مجلة الأصالة ، العدد 14 –15، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، الجزار، ص، 99.

[2] محمد الصغير غائم، مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم بجامعة منتوري ، قسنطينة، دار الهدي ،عين مليلة، 2015 ، ص، 56

أما العرب الفاتحون، فبالإضافة إلى واجبهم المقدس في نشر الإسلام، فإن فتح بلاد المغرب وضم أراضيها شكل لهم هاجسا استراتيجيا وخاصة بعد فتح مصر فلم تعقهم شساعة الصحراء عن مواصلة الفتوحات غربا حتى لامست قوائم جيادهم مياه المحيط الأطلسي بعد أن فتحوا كل أصقاع المنطقة وذلك لتأمين حدودهم الغربية بحاجز طبيعي منيع. ومن ثمة استطاعوا اجتياز أعمدة هرقل النشر الإسلام في القارة الأوروبية[1]

.مما سبق تتضح أهمية موقع بلاد المغرب عبر العصور من خلال التسابق للفوز بالاستيلاء عليه والتواجد فيه بقوة لأن الثابت في التاريخ يؤكد انتصار من يسيطر عليه في فضاء البحر المتوسط الذي يفتح بحوضية الشرقي والغربي على كل قارات العالم القديم.

تضاريس بلاد المغرب :

تضاريس الشمال :

* السهول الساحلية تكون واسعة وممتدة في الساحل الأطلسي للمغرب الأقصى، وضيقة ومتقطعة بالجبال في الساحل المتوسطي . و أهمها من الغرب إلى الشرق :

– سهول الساحل الأطلسي: وهي الغرب و سيبو و دوكالة و السوس .

[1] محمد الصغير غانم ، المرجع السابق ، ص 112

– سهول الشمال الساحلية المتوسطية : و هي وهران و متيجة و عنبة وهي ضيقة ومتقطعة بالجبال .[1]

– سهول الشرق الساحلية المتوسطية: وهي ضيقة و متقطعة في الشمال الشرقي مثل بنزرت و ماطر، لكنها أكثر اتساعا في الشرق أهمها سهل الساحل .

– سهول ليبيا الساحلية : أهمها سهول طرابلس و جفارة و البريقة ودرنة على خليج السرت

أما من حيث التكوين فإن هذه السهول رسوبية خصبة أغنتها التربة التي نقلتها الأمطار من الجبال المحاذية ويعود تكوينها إلى الزمن الرابع.[2]

وهكذا فإن التحول البيئي الخطير الذي تمثل في الإتجاه نحو الجفاف وتطرف المناخ يكون قد سبقه تحول في المنظومة الحضارية للإنسان المغاربي القديم. هذا التحول المتمثل في الإتجاه نحو استغلال إمكانيات البيئة والسيطرة عليها واستثمارها فكانت ثورة إنتاج الطعام التي أهلته إلى المضي قدما في عتبات التقدم الحضاري .

2– الإستئناس و الرعي:

إن الإنسان المبدع في مواقع الفن الصخري ، ما كان له أن يمارس إبداعاته لو لم يتوفر له القوت الدائم الذي منحه الوقت و الأمن و أعطاه فرص التأمل و التعبير.

لقد كانت بعض الرسومات عبارة عن كتاب حقيقي للحيوانات لقد رسم الإنسان الحيوانات المتوحشة و المستأنسة، الكبيرة منها و الصغيرة، وتظهر علامات تدجين

[1] حليمي عبد القادر، جغرافية الجزائر، المطبعة العربية ، الجزائر ،1968 ص .11

[2] يسري الجوهري ، جغرافية المغرب العربي مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، 2000 ، ص.16

الحيوانات في الحيوان نفسه حيث تحمل صورة البقرة أو الثور أحيانا زماما، أو صورة شخص بر علي قطيعه في اطمئنان، أو نساء يركبن ثيران وهن يمسكن بالزمام [1]

إن مشاهد الرسوم الصخرية تؤكد الدور الإقتصادي المتميز الذي لعبته الحيوانات موضوع تلك الرسوم التي أبدعها الإنسان المغاربي القديم و التي تشير إلى الإستفادة منها عن طريق القنص قبل الإستئناس و الرعي، إذ تبدو بعض المشاهد معبرة عن أعمال قنص لأناس يحملون الأقواس و العصي و يحاصرون حيوانات لاصطيادها وذلك لضمان البقاء قبل التوصل لاكتشاف الزراعة، عدا في مواقع محدودة جدا قد تعود الزراعة فيها إلى بداية الألف السابعة قبل الميلاد إذ لم يعد الجمع و الإلتقاط يكفي حاجته بعد أن بدأ الجفاف يزحف إلى المنطقة الصحراوية .[2]

وإلى جانب القنص، مارس الإنسان الصيد في المسطحات المائية كالبحيرات المغلقة والأنهار ففي واحدة من جداريات الرسوم الصخرية بالطاسيلي نجد رسوما لقوارب نفسي براي(Breuil) أصالتها المحلية قائلا بأنها مستوحاة من قوارب النيل المصرية ويخالفه الأستاذ محمد الصغير غانم الرأي مؤكدا أصالتها بدليل أن المنطقة كانت رطبة ومياهها جارية)

إن وجود هذه القوارب دليل على ممارسة إنسان الطاسيلي للصيد النهري كرافد من روافد أمنه الغذائي خاصة قبل امتهان الزراعة بالإضافة إلى أن الإنسان يعبر عن

[1] حكيمة شيحي ، سميرة عطية ، تاريخ بلاد المغرب القديم من خلال كتابات المؤرخين المغاربة المحدثين ، جامعة الشهيد حمه لخضر ، الوادي ، 2017 ، ص 15-17

[2] ك. بر اهيمي، تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر، تر: م ب الشنيتي الجزائر ، 1982 ص 125.

البيئة المحيطة به لأن رسم مواضيع غريبة عنها يعتبر نوعا من التجريد الذي نشك بأن الإنسان قد توصل إليه في تلك المرحلة المبكرة.[1]

وقد يكون الصيد في المياه العذبة قد منح فرصة الإستقرار لأقوام على ضفاف البحيرات و المجاري المائية لامتهان الصيد المكثف كما أكدته أدواتهم كالخطاف وأنواع الصنائير والستهام الصغيرة، وكذا البقايا الكثيرة لهياكل الأسماك

إن المهم في الرسوم الصخرية بالنسبة إلينا هو الجانب الإقتصادي المتمثل في توصل الإنسان إلى تدجين الحيوانات واستئناسها ودمجها في منظومته الإقتصادية ليظهر الرعي كنشاط بشري بديل أو مكمل للقنص الذي كان يوفر للإنسان جزءا كبيرا من غذائه مستعينا بالكلاب التي أثبتت المحطات النيوليتية رفقتها للإنسان كما تشهد عليها الرسوم الصخرية بتيوت وغيرها من المحطات [2]

او من خلال الرسوم الصخرية، ومن خلال بقايا عظام الحيوانات التي عثر عليها في المواقع الأثرية المغاربية يمكننا معرفة الحيوانات المستأنسة.

– السهول الداخلية: تنحصر بين الجبال وهي أكثر ارتفاعا من السهول الساحلية أهمها من الغرب إلى الشرق :

– سهول فاس مكناس مراكش و ملوية العليا و السفلى بغرب بلاد المغرب .

– سهول تلمسان، السرسو، أو تيارت ، سيدي بالعباس و عين بسام و قسنطينة في الوسط

[1] ك. بر اهيمي ، المرجع السابق ، ص 126-127

[2] حكيمة شيحي ، سميرة عطية ، المرجع السابق ، ص 18

سهل غار الدماء و باجة أو سهل التخلة في الشمال الشرقي حيث يلتقي راد مجردة بواد ملاق .

وتتميز هذه السهول باستقرار تربتها ولكنها أقل خصوبة من السهول الساحلية .

– الهضاب: تختلف من حيث ارتفاعها واتساعها وتكوينها: . ففي الغرب تميز الهضبة المراكشية بين جبال الأطلس الأوسط والساحل الأطلسي جنوب نهر سيبو، وهي هضاب قديمة تغطيها صخور رسوبية ترتفع إلى 1600 متر، كما نميز هضاب حوز مراكش و تادلة و الهضبة الشرقية التي تعتبر امتدادا للهضاب العليا في الجزائر – وفي الوسط تمتد الهضاب العليا محصورة بين سلسلتي الأطلس التلي و الصحراوي بمتوسط ارتفاع 1000 متر وتمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي على مسافة 800 كيلومتر وتنقسم إلى غربية واسعة وشرقية ضيقة ، و تتميز بوجود بحيرات ضحلة مالحة تعرف بالشطوط وهي : شط الغربي و الشرقي و الحضنة)[1]

أما في الشرق فتمتد السباسب العليا و السفلي من جبال الظهرة منحدرة في اتجاه الشرق لتتواصل بسهل الساحل .

– الجبال: يشكل الأطلس التلي والصحراوي هيكل التضاريس المغاربية في الشمال وهي موازية للساحل و تقف دون التوغل إلى الداخل فيما عدا مجاريها المائية التي يشكل تتبعها منفذ ونقاط اتصال بين الساحل وداخل الإقليم .

ففي الغرب تحتل الجبال معظم مساحة البلاد: إذ تميز:

[1] يسري الجوهري ، المرجع السابق ، ص 17–18

– في الشمال: جبال الريف التي تشكل قوسا يفتح على البحر المتوسط، ويتربع الأطلس الأوسط جنوبها ، أما الأطلس الكبير أو الأعلى فهو الأكثر ارتفاعا في بلاد المغرب، بينما يمتد الأطلس الصغير ذو التكوين القديم بالجنوب وينخفض باتجاه الغرب . [1]

وفي الوسط: نميز سلسلتين جبليتين: . فالسلسلة التلية تطل على البحر وتترك مجالا ضيقا للسهول الساحلية أو تصطدم بالبحر المتوسط ،تبدأ غربا بجبال تلمسان وفي جنوبها جبال الضاية وسعيدة ،ثم جبال الونشريس و الظهرة و زكار التي تتميز بشدة التوائها، وتتواصل بجبال الأطلس البليدي ثم جرجرة ، ثم جبال البابور فجبال القتل ثم إيدوغ.

وإلى الجنوب توازيها جبال التيطري، فالبيبان ثم جبال نوميديا و قسنطينة وسوق أهراس وتتخلل هذه السلسلة التلية سهول داخلية سبق ذكرها

أما السلسلة الأطلسية الصحراوية فتمتد جنوب الهضاب العليا في كتل موازية للأطلس التلي تقريبا ويمكن تقسيمها إلى : سلسلة الأطلس الصحراوي الغربية بها جبال القصور و عمور وأولاد نايل. أما الشرقية فتتكون من جبال الأوراس والنمامشة.

وبين القسمين تضمر الجبال كثيرا فتبدو جبال الزاب، قبل أن تختفي عند عتبة بسكرة التي تسمى عتبة الصحراء وهي ممر طبيعي بين الشمال و الجنوب ويعود الارتفاع فجأة شرق بسكرة لتبدأ الأوراس

وإذا كانت السلسلتين متفرقتين من الغرب لتلتقيا في الشرق، فإن جبال الأطلس الأوسط في المغرب وجبال الحضنة في الجزائر تربط بين هاتين السلسلتين من الشمال إلى

[1] حليمي عبد القادر ، المرجع السابق ، ص 14

الجنوب لتحصر الهضاب العليا وتقسمها إلى هضاب عليا غربية واسعة وشرقية ضيقة وفي الشرق تلتقي السلسلة القلية متمثلة في جبال الخمير ومقعد، بالسلسلة الأطلسية متمثلة في:

جبال الظهرية و يتواصل التحام السلسلتين حتى الرأس الطيب حيث تنخفض لتصبح تلالا لا يتعدى ارتفاعها 300 متر . أما في ليبيا فلا يظهر أثر للسلاسل الجبلية الساحلية ماعدا في الشمال إذ تبدو كتلا منفردة قريبة من الساحل وهي أقرب إلى الهضاب منها إلى الجبال ، وتتمثل في جبال نفوسة غربا والجبل الأخضر شرقا [1]

ب- تضاريس الصحراء :

إلى الجنوب من الأطلس الصحراوي تمتد الصحراء مشكلة عمق المجال المغاربي بتوغلها في القارة السمراء. ويغلب عليها طابع الرتابة مع احتونها لكل أشكال التضاريس:

- الأحواض و المنخفضات : هي مساحات شاسعة تغطيها الكثبان الرملية ترسبت بفعل الحت والنقل أهمها العرق الشرقي والعرق الغربي و عرق مرزوق

- السهول الصحراوية: وتسمى الرف و يغطيها الحصى نتيجة الرواسب الصخرية من جراء الستيول الجارفة قديما

- الهضاب الصحراوية: نشغل أكبر مساحة من الصحراء وهي نوعان: الحمادة وهي هضاب جبرية تنحدر من سفوح الأطلس الصحراوي الجنوبية مثل تادمايت و قير والحمادة الحمراء، وهضاب رملية مثل الطاسيلي حفرتها الرياح عن طريق الحت

[1] حليمي عبد القادر، المرجع السابق ص 57

الجبال:

تشغل مساحة قليلة وهي بركانية قديمة التكوين على شكل قباب بللورية فوق سطح هضاب قديمة بدورها أهمها الهقار و جبل العوينات وجبال تيستي بليبيا.

معطيات الجغرافيا قديما:

إن ما استعرضناه آنفا هو الواقع الجغرافي الذي حددته الدراسات العلمية الحديثة، ومن الضروري أن نتساءل عن صورة المشهد الجغرافي لبلاد المغرب القديم بدء بتصور الموقع والخريطة والسطح والمناخ وما نتج عنهما من مجار مائية و نباتات وحيوانات .

أ. الأقاليم الطبيعية

ذكر هيرودوت كما أسلفنا أن ليبيا هي ثالث قارات العالم المعروفة آنذاك بعد كل من أوروبا و آسيا وتمتد من مصر حتى رأس صولييس الذي هو نهايتها عند طنجة على المحيط الأطلسي. هذا بالنسبة لامتداد البلاد من الشرق إلى الغرب. أما التقسيم الإقليمي فقد حدده هيرودوت بثلاثة أقاليم رئيسية هي:

– الإقليم الساحلي: وينقسم إلى منطقتين تفصلهما بحيرة تريتون (Triton)

– المنطقة الشرقية تمتد من النيل شرقا حتى بحيرة تريتون غربا ساحلها رملي منخفض وهي موطن قبائل البدو (Les Lybiens nomades). [1]

[1] هيرودوت ،تاريخ هيرودوت ، تر : عبد الاله ملاح ، مر : أحمد السقاف ، 2001 ، ص ، 369 .

– المنطقة الغربية من بحيرة تريتون شرقا حتى المحيط الأطلسي غربا وهي موطن الليبيين المزارعين (Les Lybiens cultivateurs). وهي منطقة جبلية تعج غلماتها بالحيوانات المتوحشة كالثعابين الضخمة و الأسود و الفيلة والدببة

الإقليم الداخلي: يوازي الإقليم الساحلي بشقيه الشرقي والغربي وهو منطقة الحيوانات الضارية[1]

التركيبة البشرية

عرف المغرب القديم منذ مجيء الفينيقيين تنوع في التركيبة البشرية ، إذا تعددت الأجناس بين المحلية و وافدة وقد ذكر هيرودوت بأن سكان المنطقة الممتدة من غرب النيل إلى المحيط شعوب تسمى الليبو وهم العناصر المحلية وتتمركز في الشمال ، أما الفينيق والإغريق فهم الوافدونه و يمكننا تصنيفها بالشكل كالآتي [2]:

أ– السكان الأصليون :

• **المور** : هي كلمة ذات أصل فينيقي تعني عندهم الغرب ، و اسم موريطانيا أو موريزيا

قد اشتق من المور الذين أشار إليهم سالوست في حديثه عن السكان الأوائل لإفريقيا 2 و اشتق الإغريق فيما بعد كلمة " موريزيا " ، وجرى تداولها في المصادر الرومانية بصيغة موري " Mauri " فجعل سالوست الموريين مزيجا من اللوبيين والميديين ، استوطنوا القسم الغربي من شمال الإفريقي الممتد من واد ملوشة (الملوية) إلى المحيط الأطلسي . وقد استمرت هذه التسمية إلى العهد الذي سيطر فيه الرومان

[1] أندري شارل جوليان ، المرجع السابق ، ص71.

[2] د محمد الصغير غانم ، مواقع و حضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم ، دار الهدى ، ط1، عين مليلة ، الجزائر ، 2003، ص 93

على المنطقة ، أما عن هذه (مور) فهي ذات أصل فينيقي وتعني أقصى الغرب حيث اشتقت من كلمة "موهيريم" التي لها ذات المدلول .[1]

النوميديون : ورد أول إشارة إليهم عند هيرودوت بصيغة نوماداس (Nomades) قاصدا بها اللبين البدو ، أما في القرن الثالث قبل الميلاد فقد أخذت كلمة نوميديا مدلولا جغرافيا تمتد من قرطاجة إلى واد ملوية غربا ، وكانت حدودها تتقلص وتتسع حسب قوتها أو ضعفها ، وسمي السكان النوميديين. الجيتول : أحد الشعوب الأصلية في بلاد المغرب القديم ، ويعتبر الشعب الثالث الذي يعمر إفريقيا الشمالية" ، كانت قبائل الجيتول تنتشر من الهضاب العليا إلى الصحراء جنوب موريطانيا ، ومن المحيط الأطلسي إلى فزان ، وقد ذكر استرابون شبه مناطق انتشارهم بالبقع على جلد الفهد ، [2]لم ترد هذه التسمية عند هيرودوت مما يدل على أن الجيتول ظهرت فيما بعد، إذا لم ترد في المصادر اللاتينية إلا بداية القرن الثاني قبل الميلاد كان الجيتول منقسمين إلى عدة قبائل منها : الأتوتول ، هذه الأخيرة لعبت دورا هاما في تاريخ المنطقة ، فهي القبيلة الأقوى وقد خص سالوست الجيتول بلعب دور مهم في تكوين الشعب النوميديا. في حين أشار تيف ليف إلى أنهم يشكلون قسما من جيوش حنبعل ، أما تزال فيرى أن الجيتول الأناتول كانوا يتواجدون بجوار واد بورقرق و مدينة سيلا بالمغرب الأقصى حاليا ، وكانوا يهددون خطوط الاتصال بالأطلس و يشكلون خطرا على المستعمرات الرومانية . وفي مجمل القول فهم يتمركزون في السهوب والمرتفعات الجنوبية والحواف الشمالية للصحراء فيما بين المحيط الأطلسي حتى فزان شرقا و اشتهروا بممارسة الرعي .

---

[1] عبد الرحمان بن خلفة ، الديانة الوثنية المغاربية القديمة (منذ النشأة إلى سقوط قرطاجة 146 ق.م) مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم ، جامعة منتوري قسنطينة ، الجزائر ، 2007 ، ص15

[2] محمد العربي العقون ، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم ، ط1، دار الهدى ، الجزائر ،2008 ، ص 155.

ب – السكان الوافدون :

الفينيقيون : عرف التوسع الفينيقي في بلاد المغرب مرحلتين : الأولى استكشافية المراقبة المنطقة ، أسست خلالها أوتيكا

و ليكسوس 4 وذلك نهاية الألف الثانية قبل الميلاد ، والمرحلة الثانية استقرار تمثلت في إنشاء محطات تجارية ثابتة مثل : قرطاجة و حضرموت (سوسة)[1]

، وقد كانت العلاقة بين الفينيقيين و اللوبيين الذين يعتبرون السكان الأصليين سلمية تجارية ، ولعل الاستمرار في هذا التوافق بينهما منذ تأسيس قرطاجة إلى القرن الخامس قبل الميلاد دليل على الانسجام بين الطرفين كما يمكن أن تكون تلك الفترة التي تكونت فيها الحضارة البونية

الرومان : بعد سقوط قرطاج وتدميرها سنة 146 ق.م تدخل الرومان بلاد المغرب الكبير من بابها الواسع بل وتربع على عرشها ونهب خيراتها وقد وفدت جميع طبقات المجتمع الروماني من حكام وتجار و مزارعون ، وقد تركز هؤلاء في المدن البونية التي تتوفر على مرافق الراحة والرفاهية .[2]

[1] محمد البشير شنتي ، نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال ، ط1 ، مؤسسة كنوز الحكمة ، الجزائر ، 2012 ، ص 198.

[2] محمد البشير شنيتي ، المرجع نفسه ، ص 199

الفصل الثاني :

بداية الزراعة

الملامح الباكرة للزراعة :

تحولات العصر الحجري الحديث:

بعد الفترات الجليدية الأربعة في أوروبا والتي قابلتها فترات دافئة وممطرة في الشرق وشمال إفريقيا، ودعت البشرية عصر البلستوسين (Palistocene) واستقبلت فترة الهيلوسين (Helocene)، لتتيح لإنسان العصر الحجري الحديث (Neolithique) فرصة قيادة ثورة إنتاج الطعام .

كانت الظروف الحيوية السائدة في منطقة المغرب القديم والصحراء أكثر ملامسة بغطائها النباتي الذي كان يعم حتى الهقار و الطاسيلي إلى غاية الألف الثالثة قبل الميلاد على أقل تقدير حيث بدأ فيها الجفاف يزحف على الصحراء .

وتميز العصر الحجري الحديث في شمال إفريقيا بشروع الإنسان في الإنتقال من حياة الصيد والجمع والإلتقاط، والتي بدأ ممارستها منذ الفترة القفصية، إلى الإستقرار ليرتبط بالأرض شيئا فشيئا ويزاول الرعي والزراعة الموسمية 3) بتدخله في تدجين و ملاءمة الأنواع الحيوانية والنباتية ، دون أن يكون لأي نوع من النشاطين الفصل في أيهما الأسبق

وإذا كان العصر الحجري الحديث يعود في بلاد الشرق إلى منتصف الألف السادسة قبل الميلاد ويستمر حتى الألف الرابعة ، ليليه العصر النحاسي و عصر ماقبل الأسرات في مصر، فإن العصر الحجري الحديث في بلاد المغرب يبدأ من الألف الخامسة ليستمر حتى نهاية الألف الثانية قبل الميلاد أي حتى دخول الفينيقيين.[1]

[1] L.Balout ,Préhistoire de l'Afrique du nord, Arts et Métiers graphiques,Paris, 1955,p.81

إن الأهم بالنسبة إلينا هو تتبع الملامح الباكرة للزراعة محاولين معرفة جذورها في بلاد المغرب القديم ، فإذا كان العلماء قد قستموا العصر الحجري الحديث لاعتبارات تاريخية وجغرافية إلى ثلاثة نماذج (صحراوي– سوداني، وقفصي، ومتوسطي تلي) فإننا نعتبر أن المنطقة تشكل وحدة حضارية بين شمالها وصحرائها ، ممتدة من المحيط الأطلسي غربا حتى البحر الأحمر شرقا ومن المتوسط شمالا إلى أعماق الصحراء الكبرى جنوبا فهي جزيرة يحيطها الماء والرمال، تفاعلت أصقاعها وتواصلت لتشكل خلفية حضارية متشابهة صقلتها إحداثيات ثلاثة هي:

– " الصحراء كخزان بشري انطلقت منه الحضارات لتعمير شمال إفريقيا خلال فترات الجفاف.

– سواحل شمال إفريقيا الممتدة من شواطئ سيناء الشمالية إلى شواطئ الأطلسي وكذلك سواحل البحر الأحمر والتي كانت نوافذ للتأثير والتأثر الحضاري مع المجال المتوسطي .

– سلسلة جبال الأطلس شمالا التى وإن كانت تبدو كحواجز ولكنها تشكل الهيكل العظمي لهذه المنطقة وتوفر مصدرا أساسيا للمياه " [1]

إن الفترات الجليدية التي عرفتها أوروبا وقابلتها فترات مطيرة في شمال إفريقيا و الصحراء تبعتها فترة جفاف وحرارة إضطرت على إثرها أقوام للنزوح إلى أمكن توفر ظروفا أفضل حاملين معهم مورثوهم الحضاري الذي وصلوا إليه، بينما انتظم الباقون في الواحات الصغيرة عبر الصحراء ومارسوا الرعي و الزراعة. غير أن التحول من

[1] مصطفى أغشي ، نماذج من التواصل الحضاري بين شمالي افريقيا والصحراء الكبرى خلال عصور ما قبل التاريخ ، معهد الفرنك الأفريقية ، جامعة محمد الخامس، المغرب ، د س ، ص 111

القنص والصيد إلى الرعي والزراعة يكون قد تم بسلاسة وبدون انقلاب، أو مفاجأة بل تعايشت اقتصاديات الملتقطين والمنتجين للطعام في ثراء منتوع إنعكس فيما تركه العصر الحجري الحديث من آثار عظيمة في الصحراء [1].

إن الآثار المذكورة تطرح مسلة الرسوم الصخرية و الصخور المنقوشة التي تزخر بها بلاد المغرب في نطاق جغرافي يمتد من فزان بليبيا حتى المغرب الأقصى. والسؤال المهم المتعلق بهذه الأثار هو مدى تزامنها مع العصر الحجري الحديث . وكذا المواضيع التي تضمنتها

وعلاقتها بإنتاج الغذاء سواء عن طريق الجمع والإلتقاط والصيد والقنص ، أو عن طريق تربية الحيوانات والزراعة .[2]

أما بالنسبة إلى الرسوم الحجرية ومدى تزامنها مع العصر الحجري الحديث فإن الباحثين اختلفوا في ذلك، فذهب فلاموند(Flamand) ورفرفري (Vaufrey) إلى القول بأن العمق التاريخي لهذه الرسوم لا يجب أن يتجاوز العصر الحجري الحديث وخالفهما في ذلك سولينيك (Solignac) وبروي (Breuil) اللذان أعاداها إلى العصر الحجري القديم الأعلى (Epipaliolithique وإذا كان قزال قد أعاد تاريخ الرسوم الصخرية إلى 3000 سنة ق.م فقط،[3] فإن الباحثين من بعده انخرطوا في الرأي القائل بأن هذه الرسوم عاصرت النيوليتي وأن أقدمها لا يزيد عمقا أكثر من النيوليتي على الأقل وأن أحدثها تزامن مع إدخال الحصان للصحراء وكذا الجمل الأليفة) والملاحظ أن تشابه الأساليب و التقنيات و المواضيع بين إبداعات الفن الصخري الصحراوي

[1] مصطفى أغشي ، المرجع نفسه ، ص 113

[2] شارل أندري جوليان ، المرجع السابق ص,62.

[3] قزال ستيفان، تاريخ شمال إفريقيا القديم ، ج 1 ، تر : محمد التازي سعود ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ،2007 ، ص 65

المغربي أو الليبي المصري ، تؤسس بما لا يدعو مجالا للشك لوجود ثقافة فنية مشتركة لكامل إفريقيا الشمالية من البحر الأحمر حتى المحيط الأطلسي، وهذا ما يؤكد التفاعل الحضاري في الضفة الجنوبية البحر المتوسط

أما من حيث المواضيع فإن العصر النيوليتي كان غنيا بالأدوات المتطورة من حجارة مصقولة وأسنة مشذبة كما كان غنيا بالفن الصخري من رسومات ونقوش في غاية الأهمية

الإبداعية بالإضافة إلى أهميتها الوثائقية كمصادر تاريخية حول المجتمع وحياته اليومية وكذا الحيوانات التي عاصرت الإنسان س واء تلك التي استأنسها أو المتوحشة منها[1]

المزارعين المستقرين:

حد هيرودوت بداية أراضي المزارعين إلى الغرب من نهر تريتون والأصح ، و استنادا إلى الخطأ الشائع في إنحناء الساحل شمالا، إذا كان نهر تريتون هو وادي اللبن الذي يصب في خليج قابس أو منخفض الصخيرة الرملي، فإن هذه القبائل توجد شمال نهر تريتون لتتبع ساحل البحر.

وبما أن هيرودوت لم يزر تلك المنطقة فإن أخبارها كانت قليلة و غير دقيقة، ذلك أن القرطاجين كانوا يعتبرون أخبار القبائل ومواقعها من أسرار نشاطهم التجاري الذي هو أساس الإقتصاد القرطاجي لتجنب المنافسة خاصة أنهم أول من تاجر في البر وفي البحر معا (١) فحتى الرحالة حنون(Hanon) لم يذكر المواقع التي صادفها في

[1] محمد الصغير غانم ، المرجع السابق ، ص45

رحلته سوى قبيلة الكسيت (Lixites) المقيمة على ضفاف نهر ليكسوس (Lixus) و هو النهر الذي يجري في أرض موطنه قرطاج وتتمثل القبائل المستقرة التي تمتهن الزراعة

– الماكسيس (Maxcyces): تقع إلى الغرب من نهر تريتون بعد موطن الأوزيس، " يفلحون الأرض و يقطنون البيوت.و يتغون أنهم أصيلو طروادة (Troie) ، وبلادهم ، مع كل الجزء الغربي، أكثر وحوشا و أحراشا من بلاد البدو الرعاة إذ تعج بالأفاعي الضخمة و الفيلة و الأسود والدببة .[1]

* القبائل الداخلية ومن القبائل التي تقع داخل بلاد المغرب لا بد من الإشارة إلى:

– الجرامونت (Grainianites) أو قبائل الواحات: تمتد بفرعيها الشمالي والجنوبي بين مرتفعات طرابلس و واحة جرمة بمنطقة فزان حاليا. يملك أهلها عربات تجرها أربعة جيد. ولديهم أبقار ترعى القهقرى لضخامة وانحناء قرونها، يتغذى أهلها على التمر و يستصلحون الأرض الملحية بوضع طبقة من الرمل عليها قبل زراعتها .

وبالإتجاه غربا في نفس الخط الرملي يذكر هيرودوت مواقع لقبائل تبعد عن بعضها مسيرة عشرة أيام منها الأتارنت Ataran tes و الأطلنط Atlantes

– المور(Maures): ينتشرون بين نهر ملوشا (ملوية شرقا والمحيط الأطلسي غربا وقد اشتقت موريتانيا وموروسيا من إسم هذه القبيلة الواسعة الانتشار وقد ذكرها كتاب كلاسيكيون من أمثال سالوست.

[1] عبد الرحمان بسري لجوهري ، المرجع السابق ص .54

النوميد (Numides): تقع مرابعهم بين أراضي قرطاج شرقا و أملاك المور غربا. أشهر قبائلهم الماسيل في الشرق والماسيسيل في الوسط و الغرب. وهم بدو رحل عمل ماسينيسا على استقرار هم و توطينهم بالزراعة .

– الجيتول (Getules): يقطنون الجنوب، ذكرهم سالوست مع الليبيين كمكون للنسيج البشري المغاربي تميزوا بالثورة وشكل منهم يوغرطا جيشا مع أهل الأوراس لمقاومة الرومان تلك هي القبائل المغاربية القديمة التي انخرطت في أنشطة حذتها بينتها، لكن هذه الأنشطة وإن جعلت من القبيلة والقطيع حجر الزاوية في اقتصادياتها، خاصة عند البدو الرحل، فإنها لم تعق التطور الحضاري لبلاد المغرب القديم.[1]

لقد تطورت القبائل البدوية ومارس بعضها الزراعة الموسمية، الأمر الذي أقلها لتصبح نصف بدوية (Sethi honiacles) و تؤسس القرى التي تطور بعضها لتصبح مدنا بفعل الإحتكاك بالوافدين بينما قامت القرى في وادي النيل ودلتاه وتواصل بقاؤها في شكلها القروي ولم تتطور عبر العصور إلى مدن ،وهذا يؤكد أن الجغرافيا تركت الحسم للتاريخ في بلاد المغرب فأبدعت إرادة الإنسان المغاربي.[2]

أهم الحيوان المستأنسة :

أ– الأبقار: حسب أغلب الأراء تعود الأبقار، مثلها مثل أبقار الحوض الغربي للمتوسط إلى سلالة الثور الإيبيري (Bos iberilus)، أو ثور السلالة الأصلية (Bos priginius) (3)

[1] مصطفى أغشي ، المرجع نفسه ، ص117

[2] A.Bernard, L'Algérie, Librairie Felix Aléan, Paris, 1929,p.99

ومن خلال الرسوم الصخرية للثيران و الأبقار يتبين أنها تخلو في الغالب من السنام التي تميز حيوان الدربائي (Zabu) كما تتميز بأحجام واتجاهات قرونها المختلفة. ففي بعض الرسوم تظهر بقرون منحنية نحو الجبهة وأخرى بقرون مستقيمة وثالثة بقرون تتجه إلى الأمام و غيرها حتى أن المرء يتساءل إن كان النقاشون الأوائل أرادوا رسم الجاموس Buffleأو البقرة.

وكنموذج للإستنفاس المبكر للبقر تورد ثور خنقة الحجار بضواحي قالمة والذي يبدو بقرون قصيرة بينما يمسك رجل برصنه ومن الأنواع المنقوشة على الصخور بكثرة نجد نوع بابيلوس أنتيكوس (Babu has antiqus) . و نظرا لضخامته لا يمكن أن يكون قد تجن وإنما روض لفترات الاستخدامه في الجر، كما لا يجب أن ننسى روائع كتلة أزار (Azzer) التي تحفل بنماذج من الثور الإفريقي (Boss africanus) ويعود بعض هذه النماذج إلى ما قبل الألف الرابعة قبل الميلاد .

وتوفر الأبقار و الثيران غذاء السكان بلحومها وألبانها كما تستغل للركوب والجر غير أن القبائل الرعوية شرق تريتون لا تأكل لحم البقر أسوة بالمصريين كما أن الثيران استعملت في جز العربات قبل الأحصنة خاصة في الصحراء الغربية .

ب. الضأن: أهم السلالات التي تعيش في بلاد المغرب أربعة حسب قزال هي: –

السلالة العربية: بذيلها الدقيق ورأسها الأبيض أو الأسود أو البني ،صوفها قصير ولحمها جيد توجد في الجزائر و المغرب ومناطق السهول.[1]

– السلالة البربرية: تعيش في المناطق الجبلية بالجزائر ،صوفها طويل وخشن ولحمها صلب

[1] محمد الهادي حارش ، المرجع السابق ، ص 81

– السلالة التي عرفت لدى المؤرخين بالبربرين (Barbarine):توجد في الشرق القسنطيني وتونس وليبيا لحمها رديء وصوفها وفير وخشن

– السلالة السودانية في الصحراء: تتميز برأس صغيرة و قصبة أنف خشنة وذيل طويل وقوائم عالية و دقيقة ولكن جسمها يكسوه شعر كالماعز

وبدون شك فإن الأصيلة من بين كل هذه السلالات هي السلالة البربرية غير أنها تطورت كلها بفعل التدجين

وفي جدران القصر الأحمر يوجد رسم لكباش يتبع أحدها رجلا وتبدو هيئته من السلالة السودانية تماما مثل كباش بو علام وممر زناقة و الريشة و على رؤوسها قرص أو دائرة وتحمل عدة قلائد في رقابها وتشير الدائرة إلى رمز عقائدي يتمثل في عبادة الإله آمون [1]

ج– الماعز: يتميز الماعز أصيل إفريقيا بقصر القامة والشعر الأسود الطويل والقرون المتجهة إلى الخلف. ويعطي القليل من الحليب، ينتشر بين شمال شرق إفريقيا والأطلنطي غربا وقد عثر على بعض الرسوم الصخرية التي تمثل الماعز مثل موقع الريشة حيث يوجد به رسم ل " تيس " (قد يكون كيشا) تطوق عنقه قلادة وقد أطلق بومال (Pomel) تسمية كابرا بروموزا(Capra promaza) على النوع الذي وجدت عظلمه في موقع الصخر الكبير في الجزائر العاصمة .

ونمت ثروة الضان و الماعز لأنها سهلة التربية وتتحمل تقلبات الطقس وقد رعاها الليبيون لأنها تشكل أساس القطيع .

[1] ابن الرقيق القيرواني ، تاريخ إفريقية و المغرب، تحقيق المنجي الكعبي، تونس، نشر رفيق السقطي، 1968، ص 42

وإذا كان قزال قد نفى أن يكون الليبيون هم من علم الإغريق تربية الماعز كما أورد العالم الألماني موفرز (Movers) ، إلا أن المصادر تؤكد سبق الليبيين في هذا المجال ونقل الإغريق عنهم وذلك في مصدرين على الأقل ، فأولهما هيرودوت الذي ذكر" أن الأزياء الغريبة التي تلبسها نساء بلادنا في "بلاديا"(Palladia) للاحتفاء بالالهة أثينا، جاءتهن من ليبيا فالليبيات يضعن فوق ملابسهن قطعا منزوعة الشعر ومزينة من جلد الماعز تسمى بالإيجيات.

ومن هذه التسمية اشتق الإغريق إسم إيجيد (Egides)" وثانيها ما جاء في كتاب فارون (Vatron) من أن هرقل لم يأخذ من حدائق يوسبيرودوس تفاحا من الذهب بل أخذ ماعزا و أروية كما أشاد الشاعر الروماني مارسيال بشعر الماعز الليبي الطويل الذي تصنع منه ثياب تدعى سيليكوم .

د. الحمير: غثر في بعض مواقع العصر الحجري الحديث على عظام حمير من الصعب الجزم بانها مستأنسة كما أن الرسوم الصخرية لا تمنح إشارات أكيدة في هذا الموضوع .

و إن أصل الحمار المستأنس هو حمار متوحش لا يزال موجودا في شمال شرقي القارة. وقد عرفته مصر منذ الألف الرابعة قبل الميلاد. وعرفه الليبيون الشرقيون منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وأخذ عنهم بقية الليبيين في الغرب فوائد الأعباء الكبيرة التي يستطيع هذا الحيوان القيام بها في النقل و الركوب ، وتنتمي الأحمرة الحالية في الغالب إلى السلالة الإفريقية المتميزة بلونها الرمادي وتعمر طويلا ناهيك عن مزاياها في الطاعة و التحمل و الخفة [1]

[1] ابن الرقيق القيرواني ، المرجع السابق ، ص 47-48

هـ- الحصان: توجد في بلاد المغرب سلالتان من الأحصنة :الحصان البربري والحصان العربي. وإذا كان الثاني قد دخل مع الفاتحين المسلمين منذ القرن السابع للميلاد و جن منه الحصان الإنجليزي الشهير فإن الأول أصيل شمال شرق إفريقيا وهي سلالة دنقولا (Dongola). [1]

غير أن الحصان كما يبدو قد تأخر دخوله أو استئناسه ذلك أن ما أجد ، في محطات العصر الحجري القديم من عظالم خيليات (Equides) هي لخمر الوحش وليست للحصان، كما غابت بقاياه عن محطات العصر الحجري الحديث الأكثر قدما فيما عدا الطبقات العليا

لا يمكن الحديث عن الزراعة في بلاد المغرب القديم دون ذكر فقرة لبوليبيوس POLYBEمفادها أن الملك مسينيسا هو مدخل الزراعة إلى نوميديا ": إليك أعظم وأروع ما عمله . أي مسينيسا .، لقد كانت نوميديا قبله عديمة الفائدة، وتعتبر عاجزة بطبيعتها عن إنتاج المزروعات مثل أي منطقة أخرى، فكان هو وحده أول من برهن على أنها . أي نوميديا . تستطيع إنتاج المزروعات مثل أي منطقة زراعية أخرى، لأنه استثمر مساحات شاسعة " وهو ما ذهب إليه أيضا الجغرافي سترابون الذي ذهب أبعد من ذلك بجعل مسينيسا هو من حضر النوميديين وجعلهم اجتماعيين : " إن مسينيسا هو من جعل من النوميديين البدو الرعاة أناسا اجتماعيين يسكنون المدن. "

وهكذا نلاحظ شبه اجتماع عند المؤرخين القدامى حول دور مسينيسا في إعمار نوميديا، إذ يشير أيضا فاليريوس ماكسيموس إلى إحياء مسينيسا براري واسعة: "إن مسينيسا جعل من البراري الواسعة، أراضى خصبة ، بفضل العناية الخاصة التي وجهها للزراعة ، "وهو ما يؤكده أبيانوس": إن العناية الإلهية هي التي جعلت

[1] مصطفى أغشي ، المرجع السابق ، ص 121

مسينيسا يحي رقعة واسعة من المعمور كان النوميديون فيها يقتاتون بالحشائش فقط ، لأنهم ، لم يكونوا يعرفون الزراعة[1] ."

إذا كنا نعترف بدور الملك مسينيسا الكبير في نشر الحياة الزراعية في مملكته الواسعة ، فإننا في نفس الوقت لا نشك في مبالغة تلك النصوص في مدح الملك، وقد بين كومس ، مدى هذه المبالغة وشدة إعجاب بوليبيوس في نظره بهذا الأقليد الذي كانت تربطه به صداقة.

ونستطيع القول استنادا إلى المعطيات الإيتيمولجية و الأثرية أن ظهور الزراعة في بلاد المغرب القديم ، تعود إلى ما قبل ماسينيسا بكثير ،و قد ذهب ستيفان غزال إلى أن المغاربة عرفوا زراعة الحبوب قبل قدوم الملاحين الفنيقيين بوقت غير قصير ،وهو رأي ديسانجDESANGES الذي يقول": الزراعة في الواقع ظهرت قديما جدا عند الليبيين الذين كانوا يمتلكون طرازا من محراث محلي عند قدوم الملاحين الفينقيين .

وقد أكد هنري باسيH. Basset الأصول المحلية لهذا المحراث ، بل و تساءل إن لم يتبن القرطاجيون محراث الأهالي ،و قد رأى تيسو أن المحراث المستخدم حاليا عند بعض القبائل ، هو نفسه الذي استخدمه الأفارقة في عهد ماقون ، و هذا اعتمادا على ما ذكره بلينوس[2].

أما قبريال كومس G. Camps، فيرى أن المغاربة القدامى عرفوا الزراعة على أقل تقدير في أواخر عصور ما قبل التاريخ، إذ يرى في بعض الأدوات القفصية الدليل على بداية الفلاحة، أو على الأقل بداية اهتمام الإنسان بالطبيعة، كما يرى في المناجل التي اكتشفت في مناطق متفرقة من الجزائر الحالية الدليل على أن الإنسان القفصي قد

[1] كلود نيكوليه ، روما وفتح عالم البحر الأبيض المتوسط 264-27 ق م، باريس ، 1987 ، ص165

[2] كلود نيكوليه ، المرجع نفسه ، ص 166-167

مارس عملية جني الثمار،غير أن تنظيم الزراعة بدأ في أوائل التاريخ.

ويرى بعض الباحثين في آثار تازبنت الدليل على التنظيم الزراعي في المنطقة، إذ لاحظ دى روش ، De Roch أن تقسيمات الأرض تلك، تم تهيئتها من طرف الإنسان بهدف تحسين ظروف الزراعة : فهي منشآت مائية بدائية، بهدف حفظ المياه و الحد من سرعتها، و تضمن تلك الأسوار المدرجات أيضا حماية الأرض الزراعية من الانجراف، كما لاحظ أيضا بالوتL. Ballout أن المنحدرات الخفيفة التي تحد التقسيمات، تحفظ الثلوج التي تسقط في فصل الشتاء، و تتجمع لتذوب ببطء .وقد تساءل كومس بعد التأكد من كون هذه المنشآت الزراعية و المائية سابقة للرومان، إن لم تكن من عمل النوميديين و نتيجة ملموسة للسياسة الزراعية للملك مسينيسا قبل أن يجيب عن ذلك بالسلب، إذ تفترض تلك الأعمال حسبه بسبب سعتها إقامة طويلة، وبالتالي وجود سكان مستقرين، فإرادة شخص واحد في رأيه لا يمكن أن تكون مصدر مثل ذلك التنظيم الذي لا يفسر إلا في إطار اجتماعي و اقتصادي خاصر إذا كان الطابع الزراعي لهذه المنشآت، مؤكد، فلا يمكن تأريخها بطريقة مطلقة، و المؤكد أيضا أن استرباعات quadrillage "تازبنت هذه ليست فريدة، إذ أشار بالوت إلى استرباعات مماثلة في مصب وادي فوريس إلى الجنوب[1] من جبل العنق و دي روش De rocheإلى أخريات إلى الجنوب من بئر العاتر وهي سابقة للفترة الرومانية ،وكذا في مناطق أخرى من الجزائر ،هذه الأعمال كلها، تبين أن روما وجدت في شمال إفريقيا نظاما زراعيا و مائيا متكاملا ، فلم ينتظر المغاربة وفق تعبير شوفالي قدوم الرومان للتفكير في إقامة مثل تلك الأعمال ،فلم يقم الرومان بأكثر من استغلال ذلك النظام، بتوسيعه و تنظيمه، وهو ما يفسر أن نجاح روما في تحقيق ذلك التوسع في

[1] شنيتي محمد البشير ، نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال ، ط ، 1مؤسسة كنوز الحكمة ، الجزائر د. س ، ص 112

الخريطة الزراعية، إنما تم بفضل استفادتها من تطبيقات زراعية سابقة.[1]

وقد أشار ديودور الصقلي بدوره إلى بساتين مقارة ،Magaraالتي كانت تسقى بواسطة قناوات، و تحدد بواسطة أسوار من الحجارة ،وبعد أن نفي شوفالي انتماء هذه المنشآت إلى الرومان، رفض أيضا فكرة انتماءها إلى القرطاجيين اعتمادا على وجود هذه المنشآت خارج الأراضي القرطاجية، و يخلص إلى القول أن كل هذه المنشآت التي أقامها الرومان فيما بعد في إفريقيا ، كان انطلاقا من تقنيات محلية، فقد استطاعت روما أن تنجز أعمال الكنترةCenturiation الكبرى و في ظروف مناخية جديدة، بفضل منشآت زراعية و مائية قناوات و أسوار معروفة سابقا في المنطقة، فقد أخذت روما بعين الاعتبار العادات المحلية في الإستراعات، و تمكنت بذلك من الاستفادة من تطبيقات زراعية سابقة .[2].

إذا كان من المؤكد أن تلك المنشآت سابقة لروما ولا يد فيها للفنيقيين، فان اللقي و البقايا الأثرية التي عثر عليها في المنطقة، تعود بها إلى العصر الحجري الحديث، و إن كان كومس يميل إلى فجر التاريخ، كما تدل هذه الأعمال المعتبرة أيضا على طول مدة الاستقرار به .[3]

[1] شنيتي محمد البشير ، المرجع السابق ، ص 113-114

[2] كلود نيكوليه ، المرجع السابق ، ص 168-169

[3] ابن الرقيق القيرواني ، المرجع السابق ، ص 53-55

أهم المحاصيل

الحبوب:

القمح :

اذا كانت وفرة إنتاج القمح معروفة عند كل المؤرخين القدامى منهم والمحدثين، و إذا كان البعض الآخر قد أشاد بجودة الإنتاج ،فان الخلاف لم يحسم في أصل هذه الغلة الغذائية الأساسية ، التي يرى دي كاندول أصولها المغربية .

الإسبانية اعتمادا على تناسبها و مناخ البحر الأبيض المتوسط الغربي ،و نجد ما يدعم هذا الرأي في فقه اللغة، إذ يطلق الليبيون على هذه الغلة اسم إيرذنIRDEN في الجمع إرذIRED في المفرد، و هي تسمية مستخدمة عند كل الليبيين من واحة سيوة شرقا إلى جزر الكناري غربا و الهوقار و التاسيلي جنوبا ،فالإنتشار الواسع لهذه التسمية لا يسمح فقط بإثبات قدم زراعة القمح عند الليبيين ، وإنما ارتباط هذه و الزراعة بالمجتمع الريفي الليبي، قد ذهب توتان إلى أن القمح و الشعير الزراعة الأكثر انتشارا في بلاد المغرب منذ عصور ما قبل التاريخ[1].

الشعير:

يعرف الشعير في اللغة الليبية ب تمزين ،TIMZINانتشار هذه التسمية و ذيوعها عند كل المغاربة، مع وحدة معناها جعل لاوست يفكر في أصولها المحلية، وبالتالي قدم زراعة هذه الغلة في بلاد المغرب ،و هو رأي كومس.

[1] غانم محمد الصغير ، مواقع و حضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم ، دار الهدى ، ط ، 1عين مليلة، الجزائر ، 2003 ، ص 95

الذي يرى في وحدة التسمية التي لا صلة لها بأية كلمة أجنبية، و وحدة معناها ما يكفي للتدليل على انتماء زراعتها إلى اقتصاد الشمال الإفريقي منذ بداية الزراعة[1] .

الفول :

لا يستبعد لاوست قدم زراعته في بلاد المغرب، و قد تحدث الكثير من علماء النبات عن وجوده في شكله البري ،فضلا عن أصول التسمية إفاون، إبارون , IBAUEN IVAWENالمنتشرة من واحة سيوة حتى المحيط بنفس المعنى، مما يجعلنا لا نستبعد أن يكون إنتاجا محليا و أصيلا في المنطقة.

أما العدس و الحمص، فلا يستبعد كومس أن تكون من أصول شرقية، فإذا كانت لفظة " لحمز" التي تطلق على" الحمص" عند البعض هي تحريف الكلمة العربية، فإن لفظة ايكيكر IKIKER التي تطلق على نفس الغلة في مناطق أخرى مشتقة من التسمية اللاتينية كيكر CICER على رأي البعض ،خلافا لغلة العدس التي تعرف عند البعض تنيلتيت "،TINILTIT"التي يرى لاوست أنها تحريف للتسمية اللاتينية ،خلافا ل- موفر الذي يرى أن التسمية اللاتينية، هي المشتقة من الليبية، ورغم معارضة قزال للفكرة إلا أننا ندعم رأي موفر نظرا لتشكل التسمية الليبية من مقطعين، المقطع الثاني يحمل معنى العين تيت أيالعين، وارتباط التسمية حديثا بالرؤية والعين " العدسات. "

[1] غانم محمد الصغير ، المرجع السابق ، ص 97-98

التشجير:

شجرة التين :

أقر قزال في الجزء الأول من عمله الموسوعي " تاريخ" إفريقيا الشمالية القديم بالأصول الليبية لهذه الشجرة ، قبل أ ن يعود في الجزء الرابع ، و يقول أن الفينيقيين علموا الأهالي زرعها و تأبير ، لكن المعطيات اللغوية ، تدل على غير ذلك ، فالليبيون القدامى المعروفون بالاستهلاك الواسع لهذه الغلة ، يمتلكون قاموسا ثريا في هذا الموضوع ، سواء فيما يخص الشجرة أوالثمرة في مختلف مراحل التفتح و النضج ، مما يجعلنا نتساءل عن دواعي التي جعلت قزال يقول بتعليم الفينيقيين للأهالي زرع التين ، رغم أنه شجر بري و تعليمهم التأبير ، و كأنه لا يتم بطريقة تلقائية ،و بالتالي حاجة المغاربة إلى تعلمها من طرف آخر، و هو ما يدفعنا إلى التفكير في أن ابسط التقنيات الزراعية، تكون غريبة عن الأهالي، و أن هذه الأمة التي عرفت الزراعة منذ العصر الحجري الحديث، كانت محرومة من كل مبادرة.[1]

محلية.

الكروم:

تم العثور على آثار الكروم في الجزائر تعود إلى الحقب الرابع، وهي في نظر سانتا Santa، تعاصر فترة تجلد الريس Riss، ويحتمل أنها من أواخر هذا العصر الجليدي ،و لكن هذا لن يمنع بعض المؤرخين المهتمين بتاريخ المغرب القديم، من القول بأن دخولها إلى المغرب و زراعتها تعود إلى الفينيقيين، وهو ما ذهب إليه بيكارو كاركوبينو والمؤكد أن الكروم وجدت في بلاد المغرب ، ويذكر بلاديوس وماكروبيوس أن الكروم

[1] فخري ماجد ، مسيرة الحضارة. قرطاج وروما، م 1 ، د ط ، تر: شاكر مصطفى، الشركة العالمية للتوزيع والإعلان ، د ب ، د س ، ص 221

أول الأشجار التي استفادت من التطعيم.

وقد تحدث المؤرخون القدامى على هذه الكروم في بلاد المغرب القديم، فهذا بوزانياس يتحدث عن سكان الأطلس الذين يتغدون بعنب كروم برية ،كما تحدث بلينوس عن إنتاج كروم برية يستخدم في أغراض علاجية، أما هيرودوت فقد تحدث هو الآخر عن جزيرة في السواحل الشرقية لتونس مغطاة بالزيتون و الكروم.

إلى جانب تلك الأشجار المحلية، عرف الليبيون أشجارا أخرى بعضها محلي مثل اللوز الذي وجد بكثرة في حالته البرية، و هي الشجرة التي تمثل كل خصائص الشجرة المحلية حسب كومس ،وكذا النخيل الذي يشهد قاموس اللغة الليبية بثرائه بأسماء الشجرة و الثمرة، مما يدل على أصالة و قدم هذه الشجرة في المنطقة.

أما أشجار الرمان والتفاح، فالغالب أنها وصلت شمال إفريقيا مع الفينيقيين، وعرفت توسعا في زرعها في العهد البونيقي، وقد أطلق الرومان على الرمان تسمية "التفاح البونيقي "يدل على أن الرومان عرفوا أيضا هذه الشجرة عن البونيقيين.

وإذا كانت كل من الكروم والزيتون و التين و اللوز هي أنواع أصيلة ، فإن قزال يقول بأنه لا دليل على وجود أنواع مزروعة منها قبل دخول الفينيقيين وأن السكان المحليين عرفوا الخمر و الزيت في ما قبل التاريخ رغم أن التسمية المحلية " أزمور " مؤشر لزراعة محلية قديمة جدا للزيتون . [1]

ولكن في الجهة الشرقية من بلاد المغرب، عرف الليبيون أنواعا من الأشجار المثمرة وأهمها الزيتون و الكروم في كل من قورينة وجزيرة كيرو قيس كما أشاد ديودور الصقلي بمزارع الكروم الواسعة وشساعة بساتين الزيتون في قورينة أما بلين الأكبر

[1] فخري ماجد ، المرجع السابق ، ص 213-215

فيؤكد أن قورينة و على عرض 15 ميلا من الساحل صالحة لنمو الأشجار ولكن بعد ذلك لا ينمو في الداخل سوى الحبوب .

أما النخيل فقد عرفه الليبيون من سكان الواحات واعتمدوا على تموره كغذاء أساسي وخاصة قبائل النزامون الذين كانوا يتركون قطعانهم ترعى على الساحل ويتجهون جنوبا إلى أوجلة الجني التمور الوفيرة ، حيث يمر النخيل جميعه ويذكر بلين أن نخيل الصحراء حتى موطن قبائل الجرامنت ، مشهور وتمره مفرط الحلاوة وأشهرهما كان مجاورا لمعبد أمون

وتتأكد أهمية التمور في الصحراء فيما رسمه فتنو الرسوم الصخرية في مواطن عربات الركض الطائر (Chars de ga top volant) التي توجد بوادي جارات بالطاسيلي إذ تقدم مشاهد ورسوم لجني التمور في المنطقة . ويعلق عليها هنري لوت قائلا :" إن تلك الواحات الصغيرة كانت تقيم نشاطا تجاريا غرف في القديم ولا يزال إلى اليوم متمثلا في تصدير التمور والتين المجفف و القمح وبعض الذرة البيضاء" [1]

- الكتان:

زرع الكتان بمصر منذ أزمنة موغلة في القدم كمازرع في أوروبا الوسطى ويذكر قزال مشككا في قدمها في نفس الوقت، العثور على اسس لأواني فخارية في كهف الدببة بقسنطينة ، عليها آثار لنسيج خشن يكون قد وضعت عليه هذه الأواني للتجفيف مستبعدا انتمائها للصناعة النيوليتية

وإذا كان قزال قد شكك في قدم وجود الكتان في بلاد المغرب القديم فلا يعني ذلك أن المغاربة لم يستغلوه في حالته البرية قبل زراعته، تماما كما استثمروا نباتات أخرى حتى

[1] فخري ماجد المرجع السابق ، ص216-217

اكتشفوا دوراتها الزراعية التي أدخلتهم إلى عالم الزراعة، وبذلك استطاعوا الإندماج في بيئتهم واستغلوا محيطهم قبل وفود الفينيقيين.[1]

[1] فخري ماجد المرجع السابق ، ص 218

الفصل الثالث : الزراعة خلال وبعد الفترة الرومانية

الزراعة خلال الفترة الرومانية :

نشأة الزراعة في بلاد المغرب خلال فترة الرومان :

اختلفت نظرة الرومان لأفريقيا في البداية ، حيث كان هناك فريق يرى أن استيطان أفريقيا من شأنه أن يحل مختلف المشاكل الاجتماعية التي تعاني منها روما ، وكان غايوس غراكوس (Cains Gracchus) الذي تزعم هذا الفريق قد عزم على جعل إقليم قرطاج مجالا التوطين البروليتاريا الإيطالية وتوزيع أراضي أفريقيا عليها، غير أن سياسته هذه لقيت مقاومة شرسة من طرف الفريق الثاني الذي يمثله الرأسماليون الكبار وحلهم من أعضاء مجلس الشيوخ الذين كانوا يرون في أراضي أفريقيا فرصتهم الثمينة لزيادة احتكاراتهم وملكيائهم وبذلك أفشلوا مشروع غراكوس 2012 ، وفي هذا الشأن يخبرنا بلين عن ذلك الاحتكار الأراضي أفريقيا من طرف قلة قليلة إلى درجة أن ستة ملاك كبار فقط كانوا يملكون نصف أفريقيا).

وقد زاد التهافت على الأراضي الأفريقية بصفة كبيرة خلال عهدي أغسطس (14م) وتيبريوس 37م)، وهو ما جعل هذين الإمبراطورين يأمران بدفع الحدود جنوبا لانتزاع المزيد من الأراضي من الأهالي وهو الاعتداء الذي قاومه هولاء بشدة، وكان التوسع الروماني يتمدد نحو الداخل حتى بلغ مشارف الصحراء في نوميديا والمنطقة الطرابلسية ولكن لم يتجاوز المنطقة التلية في الموريتانيتين، والغريب أن البعض يرجعون هذا التوسع إلى الضرورة الاقتصادية دون غيرها وفي رأيهم أنه لم تكن له أسباب سياسية أو حربية [1]

لم تكن النهضة الزراعية التي عرفتها أفريقيا خلال الفترة الرومانية وليدة الصدفة بل كانت نتاج تطبيق العديد من السياسات التنظيمية الفعالة التي خططت لها الإدارة الرومانية منذ البدايات الأولى للتوسع الروماني في شمال أفريقيا، حيث بادرت منذ البداية إلى هيئة

[1] متري نجيب ، كتاب ملخص التاريخ القديم ، مطبعة المعارف ، مصر ، 1913، ص 84

الظروف الملائمة لقيام هذا التطور حتى يسهم ذلك في اقتصاد الإمبراطورية مستعينة في بعض الأحيان بخبرة الأفارقة في هذا المجال وفي حالات أخري بنقلها لتجارب من البلد الأم أو استعارها من شعوب أخرى، وحرصا منها على بناء اقتصاد زراعي قوي بالمنطقة قامت بتطوير الهياكل الموجودة وشيدت أخرى جديدة كما ستت تشريعات تنظيمية تقنن العلاقات بين المستثمرين والسلطة وعوامل الإنتاج ...الخ، وسرعان ما بدأت روما تقطف ثمار سياستها الفلاحية هذه ابتداء من القرن الأول للميلاد على وجه الخصوص أين شهدت أفريقيا ازدهارا كبيرا.[1]

أهم المنتجات الزراعية و الضرائب الملزمة عليها:

دل نص هنشير مطيش دلالة صريحة عن الأقساط الضريبية التي يلزم على الملاك أو الكراة أو الملتزمين دفعها إلى الوكيل ، وشملت هذه الأقساط العديد من المنتوجات الزراعية و هي مستوحاة من قانون مانكيانا وهي كالآتي:

القمح والشعير :

يدفع عنها الثلث من الإنتاج، وقد عثر في هذا الشأن على نص شمال المدينة الرومانية باناس(Banasa) يعود احتمالا إلى سنة 216 م على عهد الإمبراطور كراكالا

بنص على إخضاع هذه المنطقة المشهورة بإنتاجها للقمح إلى ضريبة نقدية أو عينية تدفع عن هذا المنتوج (28) والمعروف انه يدفع عن القمح العشر خلال الفترة الرومانية ، وفي بعض الجهات حسب كاركوبينو قد تم تضعيف العشر (أي 2/10)[2]

[1] متري نجيب ، المرجع السابق ، ص 85

[2] المحجوبي عمار، ولاية إفريقيا من الاحتلال الروماني إلى نياية العيد السويري 146- 235)م)، مركز النشر الجامعي ، تونس ، 2001 ، ص 135

منها موريتانيا القيصرية والطنجية اللتان تكونان قد أخضعنا لهذه الضريبة (1384). :

الزيتون : يدفع عنه الثالث بعد عملية العصر، ويعفي الذي يغرس زيتونا جديدا من

الدفع لمدة عشر سنوات.

الكروم:

يؤخذ الثلث عن الخمر بعد عصر الكروم ، بينما يعفى صاحبها من الدفع إذا

كانت مدة غرسها لم تتجاوز الخمس سنوات. : التين: يدفع عنه الثلث، حيث يحتفظ الكولون بجزء منه ويتركون الباقي للمسيرين أو المستأجرين ، ويعفي أصحابها من الدفع إذا كانت مدة غرسها لم تتجاوز الخمس سنوات.

الفول:

يدفع عنه الربع ورما الخمس من المحصول.

وقد أشار نص هنشير مطيش أيضا إلى العسل الذي يؤخذ عنه ربع لتر ، وعلى الذي يملك أكثر من خمس قفيرات (rauches) أن يسلم للمكلف ما يطلبه منه وقد سمح القانون أيضا مصادرة القفيرات التي يخفيها صاحبها، وتجدر الإشارة إلى أن هذه الأقساط التي تدفع عن هذه المنتوجات الزراعية هي أقساط ثابتة لا يعفى منها إلا من قام بغرس أشجار جديدة على الأراضي المهملة أو الأراضي البور بعد استصلاحها ولمدة محددة فقط تتراوح بين (5 و 10 سنوات) ، وبعد انقضاء هذه المدة فان الكولون ملزمون بدفع الأقساط المستحقة وفق قانون مانكيانا، كما أن الكولون ملزمون أيضا بالقيام بأعمال السخرة في أراضي الدومان لصالح الملاك[1].

[1] المحجوبي عمار، المرجع السابق ، ص 136-138

مسح الأراضي في بلاد المغرب :

حرص الحكام الرومان على تحسيد هذه العملية على الأراضي الأفريقية الخصبة بعد سقوط قرطاج مباشرة؛ حيث شرعوا في تنظيم المجال الزراعي الموروث عن قرطاج خاصة مع تزايد الهجرات الرومانية المنظمة التي يرسلها أباطرة روما للمنطقة ومع تقدم الجنود في احتلال أراضي جديدة تزيد معها المساحة المكنيرة ، وقد شهدت الصور الجوية والأسوار والنصب الحجرية على أن هذه العملية قد بلغت المناطق الجنوبية المتاخمة للصحراء

أثارت دقة هذه العملية وصمودها في وجه العوامل الطبيعية والبشرية لعدة قرون إعجاب العديد من الباحثين من بينهم شوفالبي الذي اعتبرها من أجمل المعالم الأثرية بالمنطقة أما بيكار (Picard) فقد أشاد بالنظم والقواعد الثابتة التي طبقت في أعمال الكنترة واعتبر أنه لم يسبق عبر التاريخ وأن فرض شعب ما إرادته على الطبيعة مثلما فعل الرومان (د)، ومنذ اكتشاف آثار هذه العملية سنة 1833م برزت اهتمامات المختصين في علم الآثار والمهندسين [1]

الكنترة :

تعتبر عملية الكنترة من الأعمال الخاصة بالتهيئة الزراعية التي اشتهر بها الرومان واختصوا بها دون غيرهم من الشعوب الأخرى، والكنترة هي شكل من أشكال مسح الأراضي لتهيئتها زراعيا، وهي عملية تقسيم منظمة للأرض بطريقة تشكل بواسطتها عددا معينا من الوحدات الكنتورية المتساوية باستعمال شبكة من الخطوط المستقيمة ويدل مصطلح "كنتوريا Centuria" على مساحة من مائة هيريديا (Herodia) وهي مساحة مربعة طول ضلعها 240 قدم روماني، كما تساوي الوحدة الكنتورية أيضا يوغيرا.

[1] عيش يوسف ، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي ، أطروحة دكتوراه ، دولة في التاريخ و آثار المغرب القديم ، كلية العموم الإنسانية و الاجتماعية ،جامعة منتوري، قسنطينة ، الجزائر ، 2007 ،ص 97

تطور الكنترة الأفريقية :

اجمع المؤرخون على أن أعمال الكنترة التي أقيمت بأفريقيا هي إبداع روماني ولا وجود الدليل يفر بان القرطاجيين قد قاموا بعملية مسح رسمية لإقليمهم عدم رغم وجود دليل على أن الأفارقة قد عرفوا قبل وصول الرومان شكلا من أشكال التهيئة الزراعية والتقسيم الذي يشبه أعمال الكنترة الرومانية وهو ما يفتح المجال للتساؤل عما إذا كان الرومان قد استوحوا بعض عملهم هذا من أصول محلية ومن تقاليد زراعية قديمة بالمنطقة؟ لم تتم الدراسات كثيرا مسألة أصل هذه الأعمال وكل المتخصصين في هذا المجال يدرسونه على أنه عمل روماني بحت شرع فيه بعد سقوط قرطاج مباشرة متجاهلين الفترة التي قبلها، ومن الصعوبة إثبات إن كان الرومان قد تأثروا ببعض الأفكار والمبادرات المحلية ولكن يمكن القول بأنه من الممكن ألم قد استفادوا من بعض التجارب المحلية في هذا المجال وهو الرأي الذي سار عليه شوفالييي حين أكد" أن روما في أفريقيا أو غيرها قد أخذت بعين الاعتبار التقاليد المحلية في التقسيم واستطاعت أن تستفيد من الممارسات الزراعية القديمة بهذه المناطق"

إن قلة النصوص والنقوش المرتبطة بالكنترة قد جعل من عملية تحديد تاريخ الشروع والانتهاء منها أمرا صعبا خصوصا وان الأبحاث الأثرية والصور الجوية الملتقطة تبرز وجود عدة مجموعات تختلف في توجيهها مما يدل على أن المسح بالشمال الأفريقي قد تم عبر عدة مراحل؛ ففي إقليم أفريقيا القديمة (Africa Vetus) استنتج الباحثون وجود ثلاث مجموعات رئيسية باتجاه مطلع الشمس خلال الانقلاب الصيفي [1]

واجمع المؤرخون أن عملية كنترة المنطقة ترجع إلى ما بعد سقوط قرطاج مباشرة سنة 146 ق.م ورجح فالب (Fathe) أن تكون هذه التقسيمات قد أقيمت بين فترتي حكم يوليوس

[1] عيش يوسف ، المرجع السابق ، ص 98-99

قيصر (Jules Cesarق.م-44ق .م) وأغسطس (242) (Auguste) ، بينما أكد شولتن (Shutalten) أما من منجزات غايوس غراكوس

نظام الري الزراعي:

يأتي التي في مقدمة العوامل التي ساهمت في قيام زراعة مزدهرة بأفريقيا خلال الفتر الرومانية، وباعتبار أن مناخ شمال إفريقيا خلال تلك المرحلة كان يميل إلى الجفاف فقد فها الرومان مبكرا هذه الحقيقة فعمدوا بمساهمة من أهالي المنطقة إلى توسيع خريطة التي باعتبار الكفيل بتعويض ندرة التساقط ، حيث شرع المهندسون الرومان في إعادة تهيئة المنشآت التي أقامها الأفارقة قبلهم ثم بدأوا في إمداد خطوط قنوات المياه من مصادرها إلى المدن للاستهلاك الحضري أو إلى الأراضي الزراعية لاستغلالها في ري المزروعات، وفي هذا المجال كشف بارادات وبيربان في أعمالهما عن وجود شبكة هامة من منشآت الري في المناطق الجافة خاصة التي تقا على حدود الصحراء جنوبا نظرا لكون أراضيها أكثر حاجة للري من المناطق الشمالية إن ازدهار أفريقيا خلال الفترة الرومانية على حد تعبير دو كودراي (De Coudtray) لم يكن قضية مناخية بقدر ما كان ثمنا للمجهودات التي بذلت في مجال الري 294) ، ولم يكن التوسع الزراعي المحقق خلال تلك المرحلة إلا نتيجة لهذه المجهودات ، فقد كانت المياه قضية رئيسية في الاستثمار الزراعي ما جعل الأرياف الأفريقية تعرف تنافسا كبيرا بين المزارعين على المياه ، فملكية أرض معينة لا يعني شيئا إذا كانت مصادر المياه بما منعدمة خاصة بالمناطق الداخلية والجنوبية[1]

استصلاح الأراضي من طرف الرومان

إن الزراعة بالمناطق الشمالية للصحراء تعتمد على الري كعامل ضروري لنمو المزروعات وازدهارها، والزراعة المروية بهذه المناطق لها ثلاث مصادر أساسية وهي مياه الأمطار على

[1] المحجوبي عمار ، المرجع السابق ، ص 164

قلتها، والمياه الجوفية المتمثلة في مياه الآبار والعيون الطبيعية، بالإضافة إلى المياه السائلة الأودية) أو المتجمعة التي تنقل إلى مناطق أخري عبر قنوات ، وحسب باراداز فات النخيل يتطلب كميات كبيرة من المياه عكس زراعة القمح التي تتطلب اقل مما يخصص للنخيل أما شجرة الزيتون فتتطلب كميات متوسطة من المياه أكثر من القمح واقل من النخيل ، وهذا دون شك ما | شجع على توسيع زراعة الحبوب والزيتون إلى هذه المناطق

هناك العديد من الهياكل الزراعية التي عثر عليها الباحثون في هذه المناطق القاحلة، من بينها آثار المعاصر الخاصة بالزيتون المنتشرة بكثرة في مناطق انقرض منها مائيا في وقتنا الحالي مما يدل على الانتشار الواسع في زراعته خلال الفترة الرومانية ، كما انتشرت بالمناطق القريبة من الصحراء زراعة الحبوب التي تشهد عليها آثار الطواحين المائية المقامة على مستوى محاري الأودية جنوب الأوراسلة، ففي بعض المناطق المتواجدة على ضفاف الأودية الصحراوية هناك كثافة في انتشار البساتين الناتجة عن عملية استصلاح الأراضي وقيئتها وربطها بشبكة | من قنوات الري ما ولد سلسلة من الواحات القريبة من بعضها البعض .[1]

منشآت الري:

تصنف المنشآت المستغلة في سقي الأراضي الزراعية إلى نوعين رئيسين 4 منشآت للتجميع وأخرى للتوزيع، شهدت الاكتشافات الأثرية على انتشارها الواسع في أفريقيا والعديد منها كان قد أنجز في الفترة السابقة للرومان ، والملاحظ هو تكيف هذه المنشآت مع طبيعة السطح وطبيعة الانحدار وكذا مع أصل المياه بشكل يجعل استغلالها في التي عملا سهلا و فعالا، ومن جهة أخري فقد حرص المزارعون على استغلال أغلب مصادر المياه المتاحة سواء

كانت آبارا أو عيونا أو أودية ...الخ

[1] المحجوبي عمار ، المرجع السابق ، ص 165

منشآت التخزين:

عثر على أسرة أودية شمال أفريقيا على العديد من السدود التي استعملها المزارعون الحفظ وتخزين مياه هذه الأودية لاستغلالها في الري خلال فترات الجفاف، وعادة ما تقام هذه السدود في خوانق الأودية واغلبها اصطناعي شيد له جدار معترض مياه الأودية لجمعها، وقد دلت الأبحاث الأثرية على وجود عدة نماذج من هذه المنشآت في أفريقيا كالسد المقام بدومان بالقرب من زغوان الذي تخصص مياهه لري سهل دار الباي ، وقد عرف عن الرومان إتقاهم الكبير لبناء السدود كما دل على ذلك سد واد درب بالقرب من قصرين (الذي يبلغ ارتفاعه عشرة أمتار و طوله أكثر من مائة متر، شيدت على طول جداره المعترض طريق عرضها حوالي خمسة أمتار ، وقد دل الأطلس الأثري للجزائر على وجود عدة منشآت مماثلة من بينها سد الخرزة على وادي الحم بجهة بوغار خصصت مياهه لري السهل الواقع على الضفة اليسرى من الوادي ، وسد آخر مقام على وادي القصب بالسيلة له نفس الدور .

كما اهتم المزارعون يجمع مياه الأمطار خاصة بالمناطق الجافة في بالوعات أو خزانات طبيعية، واهتموا أيضا يجمع مياه الجداول الصغيرة ومياه الأمطار الرعدية المؤقتة بهدف استغلالها في الري بالأرياف ، حيث تقام هذه الخزانات أو الصهاريج أسفل المنحدرات الجبلية ثم توجه بعد ذلك إلى خزانات أوسع منها ، وهذه التقنية ابتكار مثالي لاستغلال مياه الأمطار التي يصعب التحكم فيها.[1]

ومن جهة أخرى فقد شهدت الاكتشافات الأثرية على وجود العديد من الآبار التي تعود للفترة الرومانية خاصة شمال الأوراس والواحات الصحراوية التي اشتهرت بآبارها الأرتوازية ، وتتميز هذه الآبار بالدقة العالية للتقنيات المعتمدة في إنشائها، كما أن عمقها الذي يتراوح

[1] ابن الرقيق القيرواني، المرجع السابق ، ص 124

بين 15 و40م) بمنطقة جنوب طرابلس على سبيل المثال يكرس النظرية القائلة باستقرار المناخ خلال تلك الفترة ، وقد عثر بأفريقيا على العديد منها مثل بئر أم غموم.

الزراعة في بلاد المغرب بعد الفترة الرومانية :

اعتبرت الأراضي المغاربية مصدرا للثروة في عهد الاحتلال البيزنطى وأن من أولى أهدافه – السيطرة واستغلال الثروات لصالح بناء اقتصاد القسطنطينية، فكما كانت الأرض المغاربية مطمورة روما من القمح ، أصبحت كذلك في العهد البيزنطي، حيث اعتمد نظام الإقطاع وجعل الضيع والأراضي الخصبة في يد القادة والحكام لاستغلالها حيث يذكر بروكوب على أنها كانت مصدرا لمختلف الخيرات من الحبوب والخضروات لا سيما في أراضي البر وقنصلية والمزاق ونوميديا والأ ارضي المقاطعات الأخرى، فكانت مصد ار للقمح واشجار الزيتون والثمار ، وبناء القادة للقصور المحاطة بالبساتين، وامتلاك الثروة الحيوانية كالأغنام والثيران والخيول.

ولتجسيد سياستهم الاقتصادية عملوا على سن جملة من القوانين كقانون سيبتمبر 552م – القاضي بمصادرة الأراضي التي كانت تحت يد الوندال وتوزيعها على البيزنطيين لاستغلالها وكذا قانون سبتمبر 558م وغيرها من القوانين التي جعلت من البيزنطيين ملاكا للأرض واستبعاد أهلها[1].

كما عملت على استغلال اليد العاملة المحلية في خدمة الأرض واقامة المنشآت الصناعية والحربية وفرض الضرائب على المزارعين والصناع وأهل الحرف حيث اشتهؤرت صناعة الفخار لدى المحليين والأسر البيزنطية التي كانت تعتبر الجرار خزانا للزيوت والحبوب

كما عملت على إنشاء مصانع لعصر الزيتون ، وورشات لتجفيف الأسماك وتعليبه ، وكذا صناعة الخمور والمصابيح والأواني والمنسوجات والجلود وغيرها قصد تصديرها.

[1] ابن الرقيق القيرواني، المرجع السابق ، ص 125–126

كما عملت الادارة البيزنطية على صك عملة ذهبية، إلى جانبها عملة فضية محلية وجدت قبل الاحتلال البيزنطي بهدف تسهيل التعامل والمبادلات وجعل مركز صك العملة بقرطاج.

أما المبادلات التجارية فكانت تتم باسم الإدارة البيزنطية ، فكانت تتم المبادلات مع القسطنطينية وايطاليا وبلاد الإغريق ودول المتوسط.

إن سياسة إصدار القوانين المجحفة في ظل الاحتلال البيزنطي لا سيما في الجانب الزراعي التي تلزم المزارعين بدفع ضرائب باهضة سواء للمحليين أو المعمريين البيزنطيين جعلهم يتخلون شيئا فشيئا عن خدمة الأرض وتركها بور.

–الاحتلال البيزنطي عمل على سن القوانين وإصدار المراسيم لخدمة اقتصاد دولته باستغلال ثروات بلاد المغرب وتصدير منتجاتها وثرواتها للقسطنطينية على حساب تجويع وافقار الأهالي المحليين .[1]

الانتاج الزراعي و الحيواني في بلاد المغرب بعد الفترة الرومانية :

اليد العاملة الزراعية :

لا يمكن الحديث عن الزراعة وخاصة عن الإنتاج الزراعي دون التطرق إلى موضوع اليد العاملة الزراعية، فهل كان العمال في الريف عبيدا ؟ أم كانوا أجراء أحرارا ؟ لقد كان العبيد في الريف كثيرين وكان الإعتناء بهم لا يكلف كثيرا | وهم غير معنيين بالخدمة العسكرية ، ومع ذلك كان من الضروري مراقبتهم عن قرب. وقد أسهب كاسيوس ديونيسوس الإغريقي السالف الذكر وأحد مترجمي ومختصري ماغون، في رصف خصال رؤساء العبيد كأن تكون لهم دراية بالمعارف الزراعية، وطبيعة لا تميل

[1] ابن الرقيق القيرواني ، المرجع السابق ، ص 127

إلى العنف مع شحذ هممهم بمعاملتهم بنوع من التقدير ومنحهم حوافز، مع العمل على تزويجهم لبناء أستر، وهذا ما يزيد ارتباطهم بالأرض بدون شك .

وقد تكون الأشغال الكبرى المرتبطة بالمواسم كالجني والحصاد مدعاة لتوظيف عمال أحرار مقابل أجر معلوم مثلما هو الحال اليوم في المغرب الاقصى و منطقة القبائل بالجزائر، وهذه اليد العاملة يمكن أن يؤتى بها من بلاد بعيدة خارجة حتى عن نفوذ القرطاجيين (د)[1]

وإذا كان مصدر العبيد من اليد العاملة غير مؤگ فإن استجلابهم إلى قرطاجة والأراضي التابعة لها لم يكن بالأمر العسير خاصة أن سوق الرق كانت رائجة وكذلك كانت عمليات السبي في الحروب توفر موردا هاما للعبيد وقد استطاع ريقولوس "Regulus" من خلال حملته على الرأس الطيب سنة 265 ق.م، أن يختم أزيد من عشرين ألف من العبيد بعد أن عاث جنوده سلبا و نهبا في ممتلكات القرطاجيين.

وإذ كان هذا الرقم يبدو كبيرا فإن مقارنته مع عدد السكان الإجمالي المقدر بخمسمائة ألف نسمة يجعله مقبول .[2]

أما خارج ممتلكات قرطاج فإن الليبيين يتعهدون أرضهم ويعملون فيها بأنفسهم محاولين إنتاج ما يكفي معيشتهم وما يغطي التزاماتهم العينية الثقيلة تجاه المدينة وما يترك لهم لشراء مستلزمات لا يستطيعون إنتاجها بأنفسهم ومن خلال كل ذلك فإنه يمكن القول أن القرطاجيين ورغم ما استولوا عليه من أراض خصية على حساب المغاربة إلا أنهم أبقوا على سياسة استنزاف منتوجات الأهالي لتأمين حاجة مستوطناتهم من الغذاء حيث لا

[1] عيش يوسف ، المرجع السابق ، 209

[2] عيش يوسف ، المرجع نفسه ، ص 211

مجال لأن يبيع الأهالي فائض إنتاجهم في السوق المحلية كما أنه لا مجال لتصديره إلى الخارج لأنه لم يكن بالكميات التي تسمح بذلك من كل ما سبق من تعاليم ميدانية خلدها ماغون في كتابه كخلاصة.

لتجارب أجداده الفينيقيين وأبنائه البونيين، إضافة إلى ما أمكن جمعه من تراث ولقى شبي لها أن تتبعك من جحيم المحرقة التي أعدها ونفذها الرومان ضد قرطاجة مع سبق الإصرار من كل ذلك يمكننا الإطلاع على الإنتاج الزراعي الذي اكتسبه البونيون و استجلبوه من أرض أجدادهم فينيقيا، أو ذلك الذي وجدوه وطوروه محليا، أن مسألة التواجد الفينيقي في بلاد المغرب لا تزال تطرح عدة تساؤلات عن مدى التأثير البولي في المجتمع المغاربي القديم في شتى المجالات، وفي الجانب الزراعي ستتمكن من تتبع بعض جرائب هذا التأثير سواء تعلق الأمر بدراسة إحداثيات الزارعة عند البوئيين أو عند النوميديين الذين كانوا، إلى جانب الجوار، قد ورثوا الأراضي الواسعة التي طبعها البوئيون ببصمتهم الواضحة .[1]

الإنتاج الزراعي:

من خلال استعراض ماغون وكتابه في الزراعة يمكن أن نربط تطور الانتاج الزراعي البولي بتطور العلوم الزراعية، لأن الزراعة عند البونيين تجاوزت الأساليب المعروفة والمتوارثة ، وتعدتها إلى البحث و التجارب التي أكدتها تعاليم ماغون بأن ظهر علم الزراعة (Agronomie) .

ولعل النظرة الشاملة لكل ما يحيط أو يشير أو ما له علاقة بالإنتاج الزراعي، من تغيرات مناخية وطبيعية للتربة وتطور و انتشار للنوع النباتي والحيواني، وحتى علم

[1] فخري ماجد ، المرجع السابق ، ص 234

اللسانيات (Linguistique) التي احتفظت ببعض المسميات الأصيلة لبعض النباتات، بالإضافة إلى علاقة المعتقدات الدينية ببعض أصناف الإنتاج الزراعي، كل ذلك يجعل الإقتراب من موضوع الإنتاج الزراعي أكثر دقة ومصداقية

لقد صنفت الشواهد القديمة الأراضي الزراعية التابعة لقرطاج كممتلكات تخصصت في تربية الحيوانات و غراسة الأشجار المثمرة المتنوعة. و في مشاهدات أغاتوكليس وجنوده في الوطن القبلي، ما يشير إلى ذلك حيث أن المنطقة كانت تزخر بالكروم و الزياتين والأشجار المثمرة الأخرى

وقد يعود تفسير ذلك إلى أن النبلاء أرادوا احتكار إنتاج الأشجار المثمرة و الحيوانات بعد أن سيطروا على السلطة في قرطاجة . ولعل السكان المحليين استجابوا لهذا الإحتكار فاتجهوا الإنتاج الحبوب لسرعة الربح فيها من ناحية باعتبارها محاصيل سنوية لا يتطلب إنتاجها السنين مثل الأشجار المثمرة حتى تأتي أكلها، ومن ناحية ثانية ، أنهم لا يملكون رؤوس أموال كثيرة تساعدهم على هذا النوع من النشاط . ومع ذلك تبقى الحبوب هي أهم المنتوجات الزراعية باعتبار قيمتها الغذائية وقابليتها للتخزين كمؤونة دائمة تظهر الحاجة الملحة إليها خاصة عند الحروب وبالأخص أثناء الحصار.[1]

الإنتاج النبائي:

أ- الحبوب:

تعود النصوص التي تحدثت عن الليبيين أكلي القمح في مدينة ميغازة إلى ميكائي دي ميلي، في القرن السادس قبل الميلاد وأكد هيرودوت ذلك في القرن الخامس

[1] A.Bernard, L'Algérie , p 144

ذاكرا قبائل غرب تريتون التي تنطبق على جنوب شرق تونس ، وكانت زراعة القمح والشعير من اختصاص الليبيين ولم يمارسها القرطاجيون إلا نادرا وتلمس ذلك في مؤلف ماغون الذي لم يتحدث إلا لماما عن الحبوب ويتعلق الأمر بكيفية درس الحبوب و انتقاء ثيران الحرث لكن غياب التعليمات حول الحبوب لا يجب أن يفسر بميل القرطاجيين عن زراعتها لصالح الأشجار المثمرة بل أن الأمر قد يعني ضياع أو إهمال ما يتعلق بهذه الزراعة الحيوية بالنسبة إلى السكان في السلم والحرب على حد سواء والدليل على ذلك تواجد صور السنابل في النقاش و العملات البونية لقد زرع الليبيون الحبوب في كل مكان أمكن أن تزرع فيه عند الممتلكات القرطاجية، وأفضل المناطق هي منطقة البيزاسيوم (Bisacium) حول ساحل حضرموتHadrunnete أسوسة قديما) و أمبوريا Emporia من ساحل خليج السرت الكبير حتى السترت الصغير أخليج قابس)

منذ القرن الخامس قبل الميلاد إعتمدت قرطاجة على القمح المغاربي، فقد أرسل همكار (Hamilcar) في طلب القمح من إفريقيا بينما كان يقود جيشا كبيرا في صقلية .

بعد فقدانها لصقلية وسردينيا في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، اعتمدت ق رطاج أكثر فأكثر على قمح ممتلكاتها الإفريقية لتعويض ما كانت تفرضه على مزارعي الجزيرتين ، لذلك أخضعت المزارعين الليبيين لدفع ضريبة من منتوجهم لتأمين غذاء سكان المدينة بما يتناسب مع حجم إنتاجهم للحبوب سنويا .[1]

[1] محمد الصغير ، المرجع السابق ، ص 85

إن للقمح مكانة كبيرة في التاريخ العسكري قديما، وذلك بحضوره في مختلف الحملات العسكرية كعامل أساسي في الإتفاقيات والمساومات ولم تشذ قرطاج عن هذه القاعدة ففي سنة وكانت الحبوب تخزن في أوان كتلك الجرار الضخمة التي عثر على نماذج منهافي الأندلسيات قرب وهران وتخص هذه الطريقة بدون شك المناطق الرطبة خلافا لطريقة التخزين في المطامير والتي توجد عادة في المناطق الأكثر جفافا و التي أشار إليها سالوست في حرب يغورطة

ب- الأشجار المثمرة: تعتبر زراعة الأشجار المثمرة أهم ما حوته الأراضي التي ضمتها قرطاجة. وقد ورثها البوثيون عن أجدادهم الفينيقيين الذين تعاطوها منذ القدم ، ولا يزال الشمال التونسي ،من سهول بنزرت إلى مجردة غربا حتى الرأس الطيب إلى سوسة شرقا، مجالا لزراعة أشجار الفواكه المتنوعة وقد عبر عنها ديودور الصقلي في وصفه للريف القرطاجي إبان حملة أغاثوكليس .

- الكروم: الكروم من الأشجار الأصيلة في بلاد المغرب القديم، وقد أورد هيرودوت كما أسلفنا أن جزيرة كيروئيس (قرقنة شهدت ازدهارا في زراعتها ، ولكنها أقدم من ذلك

إذ وجدت الكروم البرية في ليبيا منذ أزمنة سحيقة و عرفت بالكرمة المجنونة، كما عثر الجيولوجيون على آثارها في طبقات الزمن الرابع) .[1]

وإذا كان قدماء المغاربة قد عرفوا الأعناب فإن البونين هم الذين أدخلوا كل ما يتعلق بفن الحدائق من تقنيات أسلافهم الفينيقيين كالتلقيم والتأبير والزبر ، فصنعوا في إفريقيا الخمر والزيت كما صنعوهما في موطنهم ، ولكن أكبر جهدهم انصب في زراعة الكروم التي كانوا أول من أدخلها إلى إفريقيا)

[1] محمد الصغير ، المرجع السابق ، ص 86-87

غير أن ديودور يرجع زراعتها إلى نهاية القرن الخامس ق.م مع اعترافه بأن الكروم تغطي نصف البساتين البوئية، وقد وردت الكروم في نصه الوصفي للرأس الطيب مكمانقشه البونيون في نصبهم

ولقد انتشرت زراعة الكروم في الشمال كما في الجنوب وخاصة منطقة تلكاب (قاب) التي ابهر بلين الأكبر بإنتاجها قائلا:" أن الأمر الأكثر غرابة هو أن الكروم تغل مرتين ويصنع منها النبيذ مرتين في السنة "

من أهم الأدلة عن اهتمام البونين بالكروم، تلك التقنيات التي تضمنتها تعليمات ماغون أو من أخذوا أو كتبوا عنه. ففكر كوليمال أن ماغون يوصي بتوجيه أشجار العنب نحو الشمال عند غراستها لأنها تكون أكثر خصوبة رغم أن خمرها لا يكون عالي الجودة . وتنطبق هذه التوصية عن أملاك قرطاجة، حيث أن عامل الارتفاع وتوجيه الأشجار نحو الشمال يعدلان من حدة الحرة كما يوصي بوضع بعض الحجارة في الحفر قبل غراسة الشجيرات لحماية الجذور من مياه الشتاء وحرارة الصيف مع دفن نصف ساق الشجرة فقط حتى تتجه جذورها إلى الأسفل ثم تدفن الزيتون: علمنا أن الزيتون كان جزءا من المشهد الزراعي في بلاد المغرب القديم . فقد تحدث هيرودوت كما أسلفنا عن الزراعة الجافة بين بحيرة تريتون (خليج قابس) وجزيرة كيروئيس

قرقنة) التي تعج بالزياتين والكروم بما يوحي أنها زراعة موغلة في القدم قد تكون متوارثة عن أقوام حلوا من الشرق قبل حلول مؤسسي قرطاج أنفسهم.[1]

أما عن انتشار زراعة الزيتون فقد أورد أورليوس فيكتور (Aurelius Victor) أن حنبعل هو الذي ما الجزء الأكبر من إفريقيا (تونس حاليا) بأشجار الزيتون من طرف

[1] محمد البشير شنتي ، المرجع السابق ، ص 142

جنوده الذين كان يخشى عليهم بخطورة الفراغ والركون إلى الراحة، وذلك بمنطقة البيزاسيوم في الأشهر التي مرت | بين عودته إلى إفريقيا وبداية عملياته العسكرية ضد وعن تقنيات غراسة الزيتون يوصي ماغون بأن تتم بين الإعتدال الخريفي والانقلاب الصيفي، في المنحدرات والأراضي الجافة.

أما في الأراضي الخصبة والمروية فقد أوصى أن تكون الغراسة من موسم الحصاد حتى الإنقلاب الشتوي .و يرى بلين أن ماغون أعطى هذه التعليمات للعراسة في بلاد المغرب ، وذلك خلافا إيطاليا التي تتم الغراسة فيها في فصل الربيع

التين :

كان التين البري معروفا في بلاد المغرب القديم غير أنه لم يكن صالحا للإستهلاك، ولعل الفينيقيين هم الذين أدخلوا أصنافا جيدة نظرا لمعرفتهم العريقة به، كما يكونون قد أدخلوا تقنية التأبيرة التي نقلها الليبيون عنهم منذ القدم .

لقد اشتهر بين الممتلكات البوئية وأشاد به كانون الذي لم يجد مبررا أفضل من التين الأفريقي (Figus africana) الذي قطفه من قرطاجة لكي ينتزع من مجلس شيوخ روما قرارا بتدمير عاصمة البوثيين وقد ذكره في كتابه وأوصي بزراعته في أرض خصبة أو مخصبة ، أما بلين فقد تحدث عن صنف أخر أدخل لاحقا إلى إفريقيا وقال أنه المفضل لديه من بين كل الأصناف الأخرى .[1]

[1] محمد البشير شنتي ، المرجع السابق ، ص 146

- الرمان:

أطلق الرومان إسم مالا بونيكا(Mala punica) على فاكهة الرمان والصفة البوئية هذه تدل على الرمان القرطاجي الشهير ولا تدل على اللون الأحمر.

وهذا ما أكدته كتابات المؤرخين مثل بلين الذي أعاد التفاح البوني (الرمان) إلى ب لاد المغرب القديم كما تؤكده تسميته وهو ينتج حول مدينة قرطاجة أما گوليمال فقد قدم عدة كيفيات لحفظ الرمان من الجفاف و التلف حتى يستهلك نظرا بعد انتهاء موسمه .

اللوز:

لم يهمل القرطاجيون المكسرات وخاصة اللوز الذي أعطى ماغون في تعليماته تقنيات لبذره وكيفية نقل الشتلات إلى أماكن زرعها النهائية، فأوصى بأن يتم ذلك بين ش هري أكتوبر وديسمبر والانقلاب الشتوي ، وهو ما يتلاءم مع طبيعة بلاد المغرب واللوز، مثله مثل الرمان أصيل أسيا الغربية لكن تواجده في الحوض المتوسط قديم.

وتجدر الإشارة إلى أن التسمية الأمازيغية لكل من الرمان واللوز هي نفس التسمية السامية .

- نخيل التمور، رغم أن زراعتها منحصرة في الواحات و الصحراء إلا أن النخلة ممثلة في العديد من النقائش و النصب . [1]

[1] محمد البشير شنتي ، المرجع السابق ، ص 147-148

المنتجات الحيوانية :

الأبقار :

لعبت الثيران دورا كبيرا في عالم الريف، وإذا لم تكن هي الوحيدة التي اعتمد عليها الإنسان فهي المفضلة لديه من بين الحيوانات الكبيرة الأخرى. والأبقار بصفة عامة قديمة العهد في بلاد المغرب القديم ، إذ استأنسها الإنسان مبكرا وخلدها في مدونة الرسوم الصخرية في الصحراء وفي الأطلس الصحراوي. وقد وجد القرطاجيون ومن بعدهم

الرومان تربية الأبقار جد متطورة، واهتمت الزراعة البونية بالثيران أهميتها في النشاط الريفي فترك ماغون في تعليماته نصائح تتعلق إحداها بصفات الثور الذي يجب اقتناؤه للحرث والدرس و أخرى تتعلق بعملية خصي العجول عند بلوغها العامين، في فصل الربيع ، وذلك للحفاظ على قوتها من أجل تسخيرها للأعمال المضنية من حرث ودرس.

غير أن ثيران بلاد المغرب الحالية تبدو صغيرة الحجم وهي أبعد ما تكون عن تلك التي ذكرها ماغون ، والتي قد تكون مستوردة أو مهنة من سلالات أصيلة الجزر التي استوطنها القرطاجيون[1]

ج- الضأن والماعز:

كانت تربية الماعز من اختصاص الليبين وحدهم، أما الضأن فقد رباه القرطاجيون واعتنوا به ولكن السلالة بقيت تلك التي تتصف بقصرها وكبر حجم ذيلها طولا و

[1] بر اهيمي ، المرجع السابق ، ص 253

عرضا ،ولا تزال نفس السلالة هي الغالبة في كامل التراب التونسي إلى اليوم وقد وجدت صورة | هذه السلالة ممثلة في بعض النقائش التذرية .

د- تربية النحل:

لم تكن تربية النحل هي مجرد مصدر للعسل كمحل, وحيد فقط، بل تعدته إلى استعمالات أخرى فقد أورد بلين عن ماغون كيفية الإحضار شمع العسل البوني لأغراض طبية وجمالية كالدهن و الورة أو الرسم بالشمع وبدون شك فإن شهرة هذا الشمع، باعتباره الأفضل، تؤشر إلى إنتاج كمية كبيرة من العسل [1]

الصيد البحري :

رغم أن الصيد البحري لا يعتبر نشاطا ريفيا لارتباطه عادة بالموانئ في المدن، إلا أنه يعتبر نشاطا مكملا للزراعة لدوره في غذاء السكان حتى ولو كان يعد غذاء فاخرا خاصة في المدن البعيدة عن البحر . و كان الصيد عند القرطاجيين في الغالب صيدا ساحليا رغم تطور تجهيزات الملاحة عندهم ، غير أن الحاجة لم تكن تستدعي الصيد في أعالي البحار لقلة الإستهلاك نظرا لقلة السكان ووفرة الأسماك وتنوعها في الرصيف القاري الواسع لمنطقة الساحل التونسي).

حيث يتغلغل ضوء الشمس في مياه البحر قليلة العمق فينشط تكاثر الأسماك، ناهيك عن تقطع الساحل إلى خلجان ورؤوس أو أشياه جزر مع وجود بحيرات شاطئية (Lagunes)مثل بحيرتي تريتون وزويس (البيبان وبوغرارة) مما يضاعف الملاجئ

[1]. بر اهيمي ، المرجع السابق ، ص 254-255

الأمنة للأسماك بينما تقل المراكز البونية إنتاجا في الساحل الشمالي لضيق رصيفها القاري .[1]

[1] ك. بر اهيمي ، المرجع السابق ، ص 256

خاتمة

خاتمة

من خلال دراستنا لموضوع أهمية المنتجات الزراعية و الحيوانية في الفترة الرومانية وبعدها و التطرق الى مختلف الأنظمة وجل ما يتعلق بالزراعة وغيرها التي كانت عمود الاقتصاد في تلك الفترة بحيث كانت تعرف بلاد المغرب بمطمورة روما وكانت المنقذ الوحيد لها خاصة بعد توقف المعاملات مع مصر وتضييق الحصار عليها اقتصاديا ، فخرجنا بجملة من النتائج وهي كالتالي :

- أهمية موقع بلاد المغرب الاستراتيجية جعلته هدف للعديد من الحركات الاستعمارية للمنطقة .
- خصوبة الأراضي ووفرة الأراضي الصالحة للزراعة
- تنوع الغطاء النباتي و الحيواني بالمنطقة
- اهتمام الرومان بالزراعة و استئناس الحيوانات وصيد الحيوانات المفترسة
- تطوير الرومان مختلف الطرق و الانظمة في الزراعة
- انتعاش الاقتصاد الروماني بسبب المستعمرات الرومانية في بلاد المغرب
- توسع الرومان و الرغبة في توسيع النفوذ و المناطق الصالحة للزراعة .

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع :

المصادر :

- هيرودوت ،تاريخ هيرودوت ، تر : عبد الاله ملاح ، مر : أحمد السقاف ، 2001

المراجع بالعربية :

- ابن الرقيق القيرواني ، تاريخ إفريقية و المغرب، تحقيق المنجي الكعبي، تونس، نشر رفيق السقطي، ،1968
- حكيمة شيحي ، سميرة عطية ، تاريخ بلاد المغرب القديم من خلال كتابات المؤرخين المغاربة المحدثين ، جامعة الشهيد حمه لخضر ، الوادي ، 2017
- حليمي عبد القادر، جغرافية الجزائر، المطبعة العربية ، الجزائر ،1968
- د محمد الصغير غانم ، مواقع و حضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم ، دار الهدى ، ط1، عين مليلة ، الجزائر ، 2003
- شنيتي محمد البشير ، نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال ، ط ، 1مؤسسة كنوز الحكمة ، الجزائر د. س

- غانم محمد الصغير ، مواقع و حضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم ، دار الهدى ، ط ، 1عين مليلة، الجزائر ، 2003
- فخري ماجد ، مسيرة الحضارة. قرطاج وروما، م 1 ، د ط ، تر: شاكر مصطفى، متري نجيب ، كتاب ملخص التاريخ القديم ، مطبعة المعارف ، مصر ، 1913
- قزال ستيفان، تاريخ شمال إفريقيا القديم ، ج 1 ، تر : محمد التازي سعود ، مطبوعات أكاديمية المممكة المغريبة ، الرباط ،2007
- ك. بر اهيمي، تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر، تر: م ب الشنيتي الجزائر ، 1982
- كلود نيكوليه ، روما وفتح عالم البحر الأبيض المتوسط 264-27 ق م، باريس ، 1987
- المحجوبي عمار، ولاية إفريقيا من الاحتلال الروماني إلى نياية العيد السويري) 146- 235م)، مركز النشر الجامعي ، تونس ، 2001

- محمد البشير شنتي ، نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال ، ط1 ، مؤسسة كنوز الحكمة ، الجزائر ، 2012
- محمد العربي العقون ، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم ، ط1، دار الهدى ، الجزائر ،2008
- محمد الهادي حارش ،التاريخ المغاربي القديم السياسي و الحضاري منذ فجر التزيخ لي الفتح الإسلامي المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر 1995
- محمد شفيق، ثلاثة وثلاثون قرن من تاريخ الأمازيغيين، دار مكتبة الفكر ، طرابلس،1988
- مصطفى أغشي ، نماذج من التواصل الحضاري بين شمالي افريقيا والصحراء الكبرى خلال عصور ما قبل التاريخ ، معهد الفرنك الأفريقية ، جامعة محمد الخامس، المغرب ، د س
- هشام صادي، أضواء جديدة على تاريخ المغرب، مجلة الأصالة ، العدد 14 -15، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، الجزار

- يسري الجوهري ، جغرافية المغرب العربي مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، 2000

- **الرسائل الجامعية :**

- عيش يوسف ، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي ، أطروحة دكتوراه ، دولة في التاريخ و آثار المغرب القديم ، كلية العموم الإنسانية و الاجتماعية ،جامعة منتوري، قسنطينة ، الجزائر ، 2007

- عبد الرحمان بن خلفة ، الديانة الوثنية المغاربية القديمة (منذ النشأة إلى سقوط قرطاجة 146 ق.م) مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم ، جامعة منتوري قسنطينة ، الجزائر ، 2007

- **المقالات :**

- محمد الصغير غائم، مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم بجامعة منتوري ، قسنطينة، دار الهدي ،عين مليلة، 2015

المراجع الأجنبية :

- A.Bernard, L'Algérie, Librairie Felix Aléan, Paris, 1929,p.99
- L.Balout ,Préhistoire de l'Afrique du nord, Arts et Métiers graphiques,Paris, 1955

ملخص الدراسة :

هدفت هذه الدراسة الى موضوع الزراعة وأهم المنتجات الزراعية و الحيوانية في بلاد المغرب خلال الفترة الرومانية وبعدها حيث تناولنا نشأة الزراعة في بلاد المغرب وتطورها وانتقلنا الى بداية الزراعة في بلاد المغرب خلال الفترة الرومانية وأهم المحاصيل الزراعية و الثروة الحيوانية وحتى مختلف الأنظمة و الضافات التي جاء بها الرومان الى المنطقة و اختتمنا بحثنا بالتطرق الى الزراعة في بلاد المغرب بعد الفترة الرومانية

Abstract :

This study was aimed at the topic of agriculture and the most important agricultural and animal products in the Maghreb during the Roman period, after which we addressed the origin and development of agriculture in the Maghreb and moved to the beginning of agriculture in the Maghreb during the Roman period, the most important agricultural crops, livestock and even the various systems and additions that the Romans came to the region and we concluded our research by addressing agriculture in the MaghRehreb after the Roman